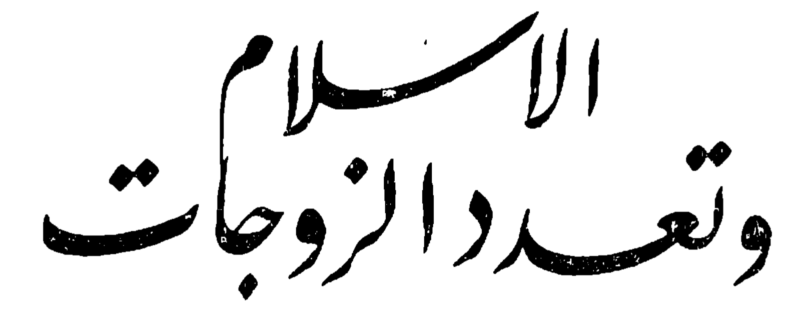
ابراهيم النعمة

الاسلام وتعدد الزوجات

ابراهيم النعمة



مطبعة الجمهور ـ الموصل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الأمين وعلى آله واصحابه ومن دعا بدعوته أبدأ الى يوم الدين ٠

وبعـــد :

فقد فكرت مرات كثيرة أن أكتب في هذا الموضوع المهم- موضوع تعديد الزوجات في الاسلام- وكلما هممت بذلك وحاولت ان أعقد العزم انقدح في ذهني ان هذه القضية التي حـاول المبشرون والمستشرقـون تشويهها وطمس حقيقتها أصبحت في القرن العشرين كالشمس في ضحاها ، وان دول الغـرب التي حرمت على نفسـها ذلك ، عادت الصيحات ترتفع منها من كل مكان ، مطالبة بإباحـة التعديد الذي هو الحل الصحيح لمعضلة مستعصية ضيقت على الغرب الخناق ٠ لكنني كنت أتألم حين أقرأ ما يرمي به الاسلام من تهم ، وما يلصق به من اباطيل في مجالات كثيرة : فقد زعموا أن نظام تعديد الزوجات كان قـد ابتدعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعرفه العالم

من قبل[1] ، بل زعم قسم من المبشرين والمستشرقين ان نظام تعديد الزوجات ابتدعه رسول الله ليستجلب الى دينه النساء ! وبلغ هؤلاء في تعصبهم ضد شريعة الاسـلام مبلغا كبيرا ، فزعم (بيرون) ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستدرج النسـاء ، فوعدهن بتعديـد الازواج ، تماما كما حصل للرجال !

أما (رينان) « فقـد وصف الاسـلام بأنـه دين الخنازير والقوم المنهمكين في الشهوات »[2] !

ومع ذلك ، فقد كنت مترددا في الكتابة في هـذا الموضوع بين الاقدام والاحجام : أقدم رجلا وأاخر أخرى لانني كنت مؤمنا تمـام الايمـان أن أكثر المبشـرين والمستشرقين هم أعداء ألداء لعقيدة الاسلام وشريعته ، فهم عندما يكتبون في الاسلام ينطلقون من نقطة خاصة للوصول الى غرض خاص هو تشويه حقيقـة الاسلام .. وطمس معالمه وتسويد نقائه وبهائه ... وظل هـذا التردد عندي حتى حلّ موسم الحج لسنة ١٣٩٩هـ ويسر الله لي السفر الى هذه الديار المباركة ، والتمتع بتلـك اللذة الروحية التي لا تنسى ...! ولما أنتهيت من رمي الجمار قصدت المسجد الحرام لأصلي فيه صلاة الجمعة ودخلت المسجد ، وصعدت الى الطابق العلوي وكأن شيئا يشدني الى الصـلاة فيه شـداً ، رغم ان اخواني الذين

---

(١) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت ١/٧٠

(٢) سماحة الاسلام للاستاذ احمد محمد الحوفي ص ١٨٧

كانوا معي ظلوا في الطابق الاول ٠

وجلست امام الكعبـة المشـرفة ـ زادها الله تشريفاً وتعظيما ومهابة وتكريماً ـ اتمتع ببهاء تلك المنـاظر واشراقة تلك الوجوه النيرة المستبشرة العامرة بالايمان، وأتأمل في الكعبة ولماذا اختارها الله في هذه الأرض التي لا زرع فيها ٠٠ وأتذكر سيدنا رسول‌الله ـصلى‌الله عليه وسلم ـ وهو يدعو الى الله في هذا المكان الطاهر ، يدعو الناس الى عبادة الله وحده ،ونبذ ماعداه من عبادة الحجر والشـجر والبشـر ، واتذكر مالاقاه من قومه من عنت ومشقة وهو يدعو الى الله في جد ودأب لانه كان يتعامل مع الله من غير كلل ولا ملل ، وأتذكر ـأيضاـ ما لاقـاه صحابة رسول الله حين آمنوا بالاسلام عقيـدة وشـريعة ونظـاماً ٠٠!

ذكريات كثيرة كانت تغمرني ، فأغـرق في تأملاتها ، وأسبح في نفحاتها ، وأنشق من عبيرها ، وأتفيأ ظلالها ، وأكاد أكون ـ عند ذاك ـ ذاهلا عن كل شيء٠٠٠! كيف لا وهي الذكريات التي تصلنا بموطن الاسلام الاول‌الذي لولاه لما كتب للمسلمين عزة ولا وجود على وجه الارض٠ وبينما كنت غارقاً في لجج من تلك التأملات، وطائرا في سماء تلك الذكريات ، واذا برجل قـد جلس الى جانبي يتحدث معي فيقطع عليّ هذه المتع الروحية التي يعجـز عن وصفها يراع الاديب البارع ، وريشة الفنان المبدع وخيال الشاعر الرحيب ، لان للروح حديثـا خاصـا لا

يدرك كنهه أحد ...!

وأتجاذب مع صاحبي أطراف الحديث ، ويقـودنا الكلام الى الحديث عن تعديد الزوجات في الاسلام ، وهنا يقول صاحبي وقد أخذ منه التحمس مأخذه: ان الاسلام لم يقل باباحة تعديد الزوجات ، لانه عَلّق التعديد بالقـدرة على العدالة ، ثم نفى أن يستطيع انسـان تحقيـق تلك العـدالة !

سبحان الله ، ما هذا الكلام الذي أسمعه !

أمجِد صاحبي في قوله هذا أم أنه يمزح ؟

أجل ، لا بد أن يكون جاداً ، فالمقام ليس بمقام هزل أو مـزاح !

أسئلة كثيرة دارت بخلدي قبل أن أنبس ببنت شفة ، وهنا التفتُ الى صاحبي وسألته عن بلده ، فأخبرني انه من (تونس) ، فزال شيء من عجبي ، لانني كنت أعلم أن هذا القطر الحبيب تعرّض لغزو فكري مدمر أثّر في عقول الناس تأثيرا بالغا ، فتحدثت معه حديثا مقتضبا في هذه القضية ، شرحت له رأي الاسـلام في ذلك ، وقلت في نفسي في تلك اللحظات : اذا كان هـذا الرجل المسلم الذي جاء لاداء فريضة الحج يحمـل مثل هذا الفكر في قضية تعديد الزوجات ، فكيف حال الشباب التائه الذي لم يجد أحدا يقوده الى طريق الهدى ويوضح له طريق الاسلام الصحيح كما رسمه الله رب العالمين ؟

لقد دار بخلدي هذا ، فعزمتُ على كتابة كراس صغير

في هذا الموضوع منذ تلك اللحظة • وقد عزمت على ذلك وأنا مستقبل القبلة أنظر اليها وانعم بصري فيها! فلعل هذه النية الطيبة في هذا المكان الطاهر في هـذا الشـهر المبارك يجعل الله فيها خيرا كثيرا ، فكم من أعمال صغيرة حَسُنَت نيات أصحابها فتركت آثارا طيبة ؟!

هذه هي قصة هذه الرسالة كتبتها ليزداد المؤمن ايمانا وليكون غير المؤمن على بينة من أمر هذا الدين •

والله أسال أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، وان ينفعني به يوم الدين ، يوم يقوم الناس لـرب العالمين ، وأملـي أن لا ينساني القـارىء الكريم من الدعـاء لي ولوالـديَّ ولأساتذتي وللمسلمين ، وأن يفـرج عـن المسلمين ما هم فيه من كرب وبلاء ، وفرقة وشتات، ومن الله التوفيق ومنه الهداية والسداد •

ابراهيـم النعمـة

إمام وخطيب جامع المخيول في الموصل

الديانات السماوية وتعديد الزوجات

عُرف تعديد الزوجات في الديانات السماوية . فكانت اليهودية قد أباحت ذلك بدون حد ، وكان لأنبياء اليهود زوجات كثيرات . وقد ورد في التوراة :

« ان نبي الله سليمان كان له سبعمائة امرأة من الحرائر وثلاثمائة من الاماء »(١) . وجاء في العهد القديم أن عيسو بن اسحق جمع بين خمس زوجات ، وجمع يعقوب بين أربع ، وان جدعون ـ أحد أنبياء بني اسرائيل ـ جمع بين نساء لا حصر لهن . وجمع داؤد في عصمته بين تسع وتسعين امرأة .

أما سيدنا موسى ، فلم يمنع تعديد الزوجات ، بل لم يقيده .

وفوق ذلك ، فقد أوجب التعديد في بعض الحالات : كالأخ الذي مات أخوه وليس له ولد ، فعليه أن يتزوج امرأة المتوفى ، ـ ولو كان متزوجا ـ بل نجد التوراة صريحة كل الصراحة في اباحة التعديد(٢) .

أما سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فقد جاء مصدقا لشريعة موسى عليه السلام في كثير من التشريعات ، وفيها ما يتعلق بالزواج وأحكامه ، لذلك لم نجد في الاناجيل

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي ص٧

(٢) سفر التثنية ٢١/١٠ـ١٧

أحكاما جديدة في قضايا الزواج ، ذلك أن سيدنا عيسى جاء مكملا لرسالة سيدنا موسى · قال تعالى :

« واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ··· »(٣) ·

وجاء في انجيل متى قول سيدنا عيسى: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ، فاني الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل»(٤) ·

ولا نستطيع أن نجد في النصرانية نصا صريحا يحرم تعديد الزوجات ، ولم يرد الا بعض المواعظ التي تذكر أن الله خلق لكل رجل زوجته · وهذا النص لا يفيد الا الترغيب في أن يقتصر الرجل على زوجة واحدة فقط في الاحوال الاعتيادية · وليس هناك نص صريح يحرم الزواج بأمرأة ثانية ، فيكون العقد باطلا ، أو يعتبر الزواج بأمرأة ثانية جريمة كبيرة هي جريمة الزنا ليس الا !

على أن بعض الرسائل : كرسالة « بولس » الاولى الى (تيموثاوس) تدلنا على أن التعديد مباح غير محظور ، فقد جاء في هذه الرسالة :

---

(٣) سورة الصف /٦

(٤) الاصحاح الخامس /٦٧

« يلزم أن يكون الاسقف زوجا لزوجة واحدة » ويفهم من هذا أن غير الاسقف يباح له الزواج بأكثر من واحدة لذلك لم يفهم واحد من النصارى الاوائل أن تعديد الزوجات محرم ، بل لقد صرح القديس (اوغسطين) انه حلال ، وظل نظام تعديد الزوجات معمولا به حتى حرمته القوانين الكنسية ، الامر الذي جعل من أسباب ثورة (مارتن لوثر) الاصلاحية هي حرمة تعديد الزوجات ، وأعلن أنه من أنصار التعديد ! ومع ذلك فقد أباح التعديد قسم من المصلحين الدينيين من الجرمان في القرن السادس عشر ... وظلت بعض الطوائف النصرانية تعترف بتعديد الزوجات الى يوم الناس هذا كما يفعل « المورمون » .. !

العـــالم وتعـديد الزوجـات

عرف العالم نظام تعديد الزوجات ، وكان يمارسه : ففي الصين كان الرجل يتزوج أكثر من زوجة واحـدة كي تلد له أولاداً يرثونه بعد موته ، والزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة... ليس لها حقوق كما للزوجة الاولى، فتأتي الزوجة الثانية في المرتبة الثانية وتكون خاضعة للاولى وتسري هذه الفقرة على أولادهن ـ أيضاً ـ ووصل الأمر بشـريعة (ليكي) الصينيـة ان سـمحت بتعديد الزوجات الى مائة وثلاثين زوجة! وفي اليابان كان الرجل يتزوج زوجة واحدة شرعية فحسب ، لا يتزوج غيرهـا ، لكنه كان من حقه ان يعاشر عدداً من النســاء في بيت آخر غير الذي تقطنه زوجته. وتعتبر أولاده غير الشرعيين كاولاده الشرعيين سواء بسواء !

وعرف التعديد في شـريعة (حمورابي) فقد وجـد منقوشاً في أحد الاحجار الأثرية في مدينة (صور) قانونه في تنظيم الاسرة وكان أهم ما فيه مادة تجيز التعديد[1]

وعرف التعديد في اليونان فكان الملك (بريام) يجمع اكثر من زوجة . أما « هيردوت » فذكر كيف جمع الملوك بين الزوجات ، ومنهم « فيليب المقدوني[2].. »

---

(١) لزيادة الاطلاع انظر : منهج السنة في الزواج للدكتور محمـد الاحمدي أبو النور ص ٢٣٤

(٢) منهج السنة في الزواج ص ٢٣٥

وعرف التعديد عند الرومان : فجمع امبراطورهم «سيلا» بين خمس نساء ، وجمع قيصر بين أربع !

وعرف تعديد الزوجات عند الاشوريين ،والهنود البرهميين والمصريين والايرانيين الزردشتيين ، وعند قسم من الشعوب الجرمانية والسكسونية • مثل المانيا والنمساوسويسرا وبلجيكا وهولندا والدانمارك والسويد والنرويج •

وعرف ـ أيضاً ـ عند الصقالبة والسلافيين التي تنتمي اليها روسيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا

أما العرب في الجاهلية فقد عرفوا تعديد الزوجات أيضاً ـ فعند شروق شمس الاسلام على الوجود كان عند قسم من العرب ثماني نسوه أو عشر أو أكثر • نعن قيس بن الحارث قال : اسلمت وعندي ثمان من النسوة ، فأتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكرت له ذلك فقال « اختر منهن اربعاً »(٢)

وعن عبدالله بن عمر قال : أسلم غيلان الثقفي وتحته عشر نسوة في الجاهلية • فأسلمن معه ، فأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يختار منهن أربعاً(٤) •

ولقد كان كثير من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تزوج في الجاهلية بأكثر من أربع نسوة ، فأمرهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمساك أربع منهن

---

(٣) رواه أبو داوْد وابن ماجه •

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه •

فقط . وقد ألف المدائني كتابا فيمن جمع في الجاهلية أكثر من أربع(٥) ...



(٥) سماحة الاسلام ص ١٩٢

قضية العدالة في تعديد الزوجات

نقف الآن وقفة قصيرة أمام الآية التي أباحت التعديد بتأمل وتدبر لنرى كيف كانت الاباحة ٠

يقول الله عز وجل : «وإن خفتم ألا تُقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »(١) ٠

لقد كان الناس في صدر الاسلام يتحرجون في ولاية اليتامى مخافة الجور عليهن في أموالهن ، في الوقت الذي لا يتحرجون من مظالم نسائهم بترك العدل بينهن ـ كما كانت الجاهلية تفعل ـ فجاءت هذه الآية تنهى الرجال عن ظلم نسائهم ، وتدعوهم الى أن يتحرجوا من مظالم النساء كما هم يتحرجون من أكل أموال اليتامى ، فان الظلم قبيح كله !

على أن هذه الآية يفهم منها ـ أيضا ـ انها تخاطب المؤمنين فتقول لهم : اذا امتنعتم من تزوج اليتيمات خشية أن تختلط أموالهن بأموالكم ، وأن يكون ذلك سببا في اغرائكم بأخذ أموالهن والجور عليهن فيما لهن من حقوق فاتركوهن ، وتزوجوا غيرهن لتبتعدوا عن هذه الشبهات ، فقد أحل الله لكم أن تنكحوا من النساء

---

(١) سورة النساء (٣) ٠

اثنتين وثلاثا وأربعـا • ان كنتـم قادرين على القيـام بحقوقهن وعدم الجور على واحدة منهن • فان خفتـم أن تقصروا في هذا ، فقد حرم عليكم أن تعددوا زوجاتكم ، فانكحوا واحدة فقط ، فذلك يبعدكم عن الحيف والظلم والجور • وهكذا فقد أطلقت الآية الرخصة في التزوج بأكثر من واحدة الى أربع مع تحفظ مهم هو قدرة الرجل على اقامة العدل بين زوجاته • ونزلت هذه الآية فيعصر كان الناس فيه يكثرون من تعديد زوجاتهم بلا عـد ولا حساب ، فكانوا يتزوجون بعشر نسوة أو أكثر ، فقـد قيَّد الاسلام تعديد الزوجات بأربع بعد أنكان بلا قيد ، مع التحفظ الكبير في اقامة العدل • فان لم يكن هنـاك تحفظ ذهبت الاباحة المعطاة وأثم من يخالف !

والعجيب كل العجب ـ وان شئت فقل لا عجب ـ مـا سمعناه منقسم منالناس الذين تأثروا بالثقافة الغربية ومنهج حياتها وأخلاقها ، حيث يزعم هؤلاء ان الاسلام حرم تعديد الزوجات حين قـال : « ولـن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ـ ولو حرصتم ـ » بعد قولـه تعـالى « فانكحوا ماطاب لكم منالنساء مثنى وثلاث ورباع •• » فهم يقولون : ان القرآن الكريم أباح التعديـد في الآية الاولى لكنه اشترط اقامةالعدالة بينالزوجات• والعدالة هذه متعذرة هنا ، بـل مستحيلة ، فتكـون النتيجـة ان التعديد محرم، لكن القرآن لم ينص علىالتحريم صراحة بل ذكر انه مباح اذا استطاع الـزوج ان يعـدل بـين

زوجاته والعدالة هنا غير مستطاعة، ولايمكن تحقيقها!

لقد أخطأ أصحاب هذا القول خطأ جسيما حين تأولوا قضية العدل تأويلا بعيدا كل البعد عن روح الشريعة الاسلامية ، من أجل الوصول الى نصرة رأي رأته الثقافة الغربية ، اذ كيف يفتح القرآن باب التعديد بآيةصريحة ثم يوصده بعد ذلك ، فيحكم ايصاده حتى لا ينفذ منه أحد ؟٠٠!

وأصحاب هذا القول ـ فوق ذلك ـ بلغوا مبلغا كبيرا في الجرأة في تحريف كتاب الله وتأويله تأويلا لا يتفق مع أسلوب القرآن ، ذلك ان الآيتين تدلان دلالة صريحة على عكس ما قالوا ٠ والآية الاولى صريحة في أن يتزوج الرجل أربعا من النساء شريطة أن يعرف من نفسه أن باستطاعته أن يعدل بينهن ، أما اذا لم يتمكن من تحقيق العدالة ، فعليه أن ينكح امرأة واحدة فقط ، ويحرم عليه التعديد !

ان في الفطرة الانسانية ميولا لا يستطيع الانسان أن يسيطر عليها سيطرة تامة كاملة ، وذلك كميل قلب الانسان الى احدى زوجاته أكثر من زوجاته الاخريات٠ والانسان لا حيلة له في دفع هذا الميل أو التخلص منه ، فهو ليس في طاقته ، والله عز وجل لايحاسب الانسان الا في حدود طاقة الانسان وما يملكه الانسان ، فلا يعاقبه على أمر لا يملكه ، ولا يستطيع أن يتحكم فيه تحكما تاما ٠ والقرآن الحكيم صريح في أحكامه وفي توجيهاته

وارشاداته وفي كل شيء فيه • انه يصرح أمام الناس أن الانسان عاجز عن تحقيق العدل بين النساء ــ ولو حرص عليه الانسان ــ لان ذلك خارج عن ارادتـــه ، ولكن الله يحاسب الانسان على ما في طوقه وقدرته ، ولا يكلفه الا بما يستطيع « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » ويحاسبه على اقامة العدل في القسمة بين الزوجات في كل ما يملكه الانسان بالسوية قسمة عادلة : كالعـــدل في المعامـــلة ، والطعام والشراب ، والملبس والنفقة ، والمبيت والوقت الذي يقضيه الزوج مع كل زوجة من زوجاته ، والحقوق الزوجية كلها ، بل حتى في الابتسامة والكلمة الطيبة !

واذا كانت الفطرة البشرية على ما ذكرت ، فقد نَـهَـت الآية عن الميل في المعاملة الظاهرة التي يملكها الانسان، الميل الذي يكون فيه الجور والاعتداء على حقوق النساء الاخريات فيحرمهن من حقوقهن ، فتبقى الزوجة الاخرى معلقة لا هي بزوجة ولا هي بمطلقة !

وهكذا نجد القرآن الحكيم يتعامل مع النفس البشرية التي خلقها الله من طين ثم نفخ فيها من روحه ، من غير أن يهمل استعدادات البشر وطاقاته ، وما هو في قدرته وما ليس في قدرته •

وقد تجلت هذه الحقيقة في أجلى مظاهرها في ســيدنا رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فقد كان المثل الكامل في تطبيق أحكام الله ، وفي اقامة العـــدل في كـــل شيء : في القول والفعـــل ، فكان يقســـم بـــين زوجاته

بالسوية ويعدل في القسمة . وعند شعوره بحب احدى نسائه أكثر من الاخريات كان يقول :

« اللهم هذا قَسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »[٢] . وهل يعني رسول الله فيما لا يملك الا حبه القلبي وميله النفسي ؟!

هذا هو العدل الذي ذكره القرآن وأوجب على من يعدد زوجاته أن يقوم به ، انه في قدرة الانسان وليس بخارج عن طوقه !

وقوله تعالى « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » معناه ان الانسان لا يستطيع ان يحقق العدالة في الامور الوجدانية أو الشعورية ولو حرص الانسان كل الحرص على تحقيقها وذلك : لأن الانسان ليس له سلطان على قلبه وميله النفسي . وهذا الحب والميل النفسي ينبغي ان لا يمنعه من اقامة العدل فيما ذكرناه ، وان لا يحمله حبه لبعض زوجاته على التقصير بحقوق الزوجات الباقيات وعلى هذا ، فيكون معنى الآيتين ان الانسان ليس باستطاعته أن يقيم العدل بين زوجتيه أو زوجاته في كل أمر من أموره الوجدانية أو الشعورية، ذلك ان الامور الوجدانية والشعورية لايحاسب عليها الانسان ، لانها ليست في قدرته ، فهي لاتقف حجر عثرة في طريق الاباحة! واما المعاملة الظاهرة ، فهي التي انيط بها حكم تعديد الزوجات . ونجد في حياتنا الاجتماعية

---

(٢) رواه ابو داوُد والترمذي والنسائي .

أمثلة كثيرة هي صورة طبق الاصل لما نتحدث عنه ونتكلم فيه ، واليك ـ أخي المسلم ـ هذا المثال الواحد من أمثلة كثيرة :

لو ان رجلين ترافعا الى القضاء ، وكان احدهما أحب الى القاضي من غريمه ، وحكم القاضي لاحدهما لما ظهر أمامه من أدلة وقرائن ، وكان حكما عادلا لا جور فيه ولا حيف ولا افتئات ، فهل يعتبر القاضي الذي أصدر ذلك الحكم العادل بالظاهر ، وكان يحب أحد الخصمين بالباطن ، هل يعتبر جائرأ فيحكمه فيستحق العزل !

وهل تطلب السلطة من القاضي ان يكون عادلا في احكامه الظاهرة والباطنة ، فيسوي بين الخصمين في حبه القلبي لها ؟ ان السلطة لاتطلب منه هذا ، لانه ليس باستطاعة الانسان ، ولكنها تطلب منه ان يحقق العدالة في احكامه التي يصدرها من غير ان يتبع الهوى فيضل عن سبيل الله ، فيجور في حكمه ويظلم ، وهل قضية العدالة بين الزوجات الا كذلك ؟

على ان معنى الآية لو كان كما يظن هؤلاء الذين أخطأوا فهم اسلوب القرآن لقال جل شأنه : « فلا تنكحوا أكثر من واحدة » • والآية بعد ذلك ـ من آيات الأحكام ، وآيات الأحكام تتسم بوضوح المعنى ، خاصة اذا دار الأمر بين الحل والحرمة !

واذا كان القرآن الحكيم قد قال : « فلا تميلوا كل الميل ••• » فانه قال ذلك لأن التعديد مباح ، والا فما

فائدة النهي ان كان للرجل زوجة واحدة فقط ؟

وفوق ذلك فقد ورد في السنة مايفيد اباحة التعديد كقوله — صلى الله عليه وسلم — : « لايجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها »(٣) فان مفهوم المخالفة يقضي بجواز نكاح المرأة على غير من ذكر ٠

وكذلك يستدل على وجود التعديد بآية المحرمات من النساء : « وأن تجمعوا بين الاختين » فان تعديد الزوجات فيما عداهما مباح ٠٠٠ ! وهذا غيلان الثقفي أسلم وله عشر نسوة . فأمره النبي — صلى الله عليه وسلم — ان يستبقي أربعاً منهن فقط ٠٠٠ !

ولما نزل قوله تعالى : « فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة» فهم قسم من الصحابة ان العدل المقصود بالآية هو العدل مطلقاً فيما يملك الانسان وفيما لايملك ، وكان ذلك سبباً في تحرج قسم من المسلمين لأن العدل فيما لايملك غير مستطاع ، فجاءت الآية الثانية ترفع الحرج : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء — ولو حرصتم — فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيما »(٤) ٠

ولو رجع هؤلاء المتأولون الى ما كان عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم منذ عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما وقعوا في هذا الفهم السقيم ، حيث برز من

---

(٣) رواه البخاري ومسلم ٠

(٤) النساء / ١٢٩

الفقهاء المجتهدين أعداد كبيرة في كل عصر من عصور الاسلام ، ولم يقل واحد بمثل هذا الرأي السقيم ، لانه بعيد عن منطق القرآن ومفهوم السنة ، ومصادم لاجماع المسلمين ! ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوم بتطبيق العدل بين زوجاته ، وهكذا كان صحابته ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ والاحاديث الآتية تمثل شيئاً من هذا :

(١) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم الا هو يطوف علينا جميعا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها »(٥) .

(٢) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قَسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »(٦) .

(٣) عن عائشة « ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه : فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه »(٧) .

والذي يفهم من هذا الحديث أن القرعة تكون في حالة

---

(٥) رواه احمد وابو داؤد والحاكم والبيهقي .
(٦) رواه ابو داؤد والترمذي والنسائي .
(٧) رواه البخاري ومسلم

السفر ، وليس في كل حال ، فمن خرجت القرعة لها سافر بها .

وقد ذكر العلماء أن الرجل اذا تزوج عددا من النساء وأراد أن يقسم بينهن يجري القرعة ، ولا يبدأ بأيتهن شاء الا ان يرضين بتقديم أحداهن ، فلا يقرع !

(٤) عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من كانت له أمرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل »(٨) .

أما سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فكان يقول :

« اللهم أما قلبي فلا أملك، وأما ما سوى ذلك، فأرجو أن اعدل»(٩) .

ويقول جابر بن زيد: كانت لي امرأتان ، فكنت أعدل بينهما حتى في القُبَل !

وقال مجاهد : كانوا يستحبون أن يعدلوا بين النساء حتى في الطيب : يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه !

وقد تكلم السلف كثيرا في هذه القضية حتى قال ابن سيرين :

انه يكره للزوج أن يتوضأ في بيت احدى زوجتيه دون الاخرى، ذلك أن المسلم يؤمن تمام الايمان أن الله مطلع

---

(٨) رواه أحمد والاربعة وسنده صحيح .
(٩) تفسير الطبري ٣١٤/٥

على ما في الصدور ، وانه تعالى يعلم السر وأخفى ، فهو يزن كل قول وعمل بميزان الاسلام ، لانه يتعامل مع عالم الغيب والشهادة الذي خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ! اذا علمنا هذا ، فقد أدركنا شيئا من حقيقة العدالة المشروطة في تعديد الزوجات .



بين الوحدة والتعديد

قد يسأل سائل : هل الاصل في الزواج الوحدة ، والتعديد يُلجأ اليه عند الضرورة ، أم انه مباح ؟

والذي يظهر من آية التعديد أنه مباح ، فقد تحدث عنه القرآن على أنه الاصل أو قريب منه، ثم ثنى بالحديث عن الواحدة، اذا خاف الرجل الجور اذا عدد زوجاته . . . !

إذن فالتزوج من اثنتين أو ثلاث أو أربع هو المباح ، ويكون الاقتصار على واحدة اذا خاف ان يعدل . هذا هو الاصل الذي يظهر من سياق الآية . ولو كانت وحدة الزوجية هي الاصل في الآية ، والتعديد لا يلجأ اليه إلا عند الضرورة لما جاءت الاية بهذا النسق الواضح بل لدعت الى التزوج من واحدة اذا لم تكن عاقراً او مريضة . . . فان حصل شيء من ذلك فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع .

واذا تأملنا اية التعديد نرى ان القرآن الحكيم استعمل كلمة (ما طاب) في قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » والمقصود ما أحل الله وما اباح . فلو كان الاصل في الزواج الوحده والتعديد ضرورة ، لاختل سياق الآية أذ الضرورة يباح بها المحظور والممنوع لا الطيب . . . !

وفوق ذلك ، فان التطبيق العملي لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لنا أن الاصل في الزواج التعديد

لا الوحدة ، أذ لمــا نزلت اية التعديد كان لدى قســم من المسلمين اكثر من اربع زوجــات ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم باستبقاء اربع منهن فقط عند كل رجل • فلو كــان الاصل في الزواج الواحدة والتعديد يلجأ اليه عنــد الضرورة ، لأمر النبي هؤلاء ان يستبقي كل مسلم زوجة واحــدة فقــط ، ثــم ينظر في ضروراتهم فيرخص لهم في التعديد ان كانت هناك ضرورة !

ومما يعضد هذا الرأي ـ ايضا ـ ان ســيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عرض أبنته حفصة على الزواج من ابي بكر ثم عثمان قبل ان يخطبها رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد كان ابو بكر متزوجا من ام رومان آنذاك ، ولم تكن زوجته مريضة ولا عاقراً • فلو لم يكن الاصل في الزواج التعدد لما فعل ذلك ســيدنا عمر ، ولمــا سكت ابو بكر على هذا العرض !

لماذا تعديد الزوجات

١ـ دلت الاحصاءات التي اجريت في العالم على ان عدد النساء يفوق عدد الرجال ، وان في بعض من البلدان يكون عدد النساء اضعاف عدد الرجال : كما نجد ذلك في شمال اوربا . يقول الدكتور مصطفى السباعي :

« وقد قال لي طبيب في دار التوليد في (هلسنكي) « فنلندا » انه من بين كل اربعة اطفال او ثلاثة يولدون يكون واحد منهم ذكراً والباقون اناثاً » (١)

وفوق ذلك ، فان الذكور من الاطفال أكثر تعرضا للموت من الآناث في الولادة ، وفي ايام الطفولة الاولى كما تقول احصائيات جميع الشعوب . وهكذا يكون عدد الاناث أكثر من الذكور ، وتتحقق هذه الظاهرة حتى في الشعوب القليلة التي يتغلب المواليد الذكور فيها على الاناث : كالشعوب الاوربية التي يزيد عدد مواليد الذكور فيها على الاناث بنسبة ١٥/٦ بالمائة

ولم تكن قضية زيادة عدد الاناث على الذكور من مكتشفات هذا العصر ، فقد عرفها الناس منذ عصور واغلة في القدم ، من قبل ان يذكرها علماء الأحصاء في قروننا المتأخرة ! وقضية زيادة عدد النساء على الرجال قضية شاملة لأكثر دول العالم ـ ان لم نقل كلها ـ والاحصائية الآتية تسلط شيئا من الضوء على هذه الحقيقة:

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٨١ .

فـ (في الكتاب السنوي للامم المتحدة عن تعـداد السـكان الصادر سنة ١٩٦٤ أثبت الأحصاء ان عـدد النساء يزيد على عددالرجال بنحو ٢٠ مليون نسمةفي الاتحاد السوفيتي ونحو ٢ مليون نسمة في الولايات المتحدة ، ونحو ٣ مليون نسمة في المانيا الغربية ، وتهبط زيادة عـدد النساء عـن الرجال الى نحو (١٧) ألف في أرجواي و (٢٤) ألف في بورتوريكو و (٢٧) ألف في سـلفادور · وكذلك يـزيد عدد النساء عن الرجال في اوغندا »[٢]

« ثم ان هذا الاحصاء قد أثبت أنأعمار النساء تزيد على اعمار الرجـال في معظم انحـاء العالم ، وتبلغ هـذه الزيـادة حـداً كبيراً في كثير من الـدول ـ ٨ سنوات في الاتحاد السوفيتي مثلا ٦/٨ سنة في فرنسا ، ٦/٦ سـنة في الولايات المتحدة ، ٦ سنوات في بريطانيا)[٣]

« ومن الاحصاءات التي ظهرت عـام ١٩٦٥ أنه يوجد في هولندا مقابل كل (١٠٠٠) رجل (١٠٠٧) آمرأة وانه بعد سن الرابعة والثلاثين يفوق عدد النساء عدد الرجال ويبلغ متوسط عمر المـرأة الهـولندية ٧٦ سـنة بينما يبلغ متوسط عمر الرجل هناك ٧١ سنة فقط · وبـين ٩٢ شخصا عمرهم يتجاوز المائة يوجد ٢٩ رجـلا و٦٦ امرأة »[٤] ·

وفوق ذلك ، فان الرجل لا يكون صالحا للـزواج الا اذا كان قادرا على القيام بنفقات زوجته وأسـرته ، اذ

(٢) الفكر الاسلامي والتطور للاستاذ فتحي عثمان ص ٢٣٢ ·

(٣) الفكر الاسلامي والتطور ص ٢٣٢ ·

(٤) الفكر الاسلامي والتطور ص ٢٣٣ ·

يكون الرجل هو المسؤول عن ذلك ، لكن كثيرا من الرجال يظل عاجزا عن الزواج وعازفا عنه، لانه لا يملك القدرة على الانفاق على أسرته وزوجته ، وقد يظل بعض الرجال طوال حياتهم بلا زواج لهذا السبب. واذا تزوج كثير من هؤلاء فسوف يتزوجون في وقت متأخر . أما البنات ، فان كل واحدة منهن صالحة للزواج اذا وصلت الى سن البلوغ . وهكذا تقل نسبة القادرين على الزواج من الذكور عن نسبة الاناث الصالحات للزواج . وهذه الظاهرة تتحقق حتى في الشعوب التي يتساوى فيها الذكور بالاناث ، فكيف اذا كان عدد الاناث أكثر من الذكور ؟

وهكذا يكون تعديد الزوجات أمرا واجبا يقول به كل العقلاء والمنصفين ، ذلك ان الناس لو اقتصر كل واحد منهم على زوجة واحدة فقط لبقيت كثيرات من النساء بلا زواج ، ولأصبحت كثيرات منهن يتسكعن في الشوارع والطرقات ، لان الواحدة منهن لم تجد من يعيلها ويقوم على قضاء حاجاتها . ولا شك ان الدعارة تنتشر ـ عند ذاك ـ فأيهما أفضل للمرأة : أن تكون بكنف زوج يظللها بجناحه ، ويحنو عليها ، ويقوم بقضاء شؤونها وحاجاتها أم تكون مشردة تائهة معذبة ؟

ان من ينادي بعدم التعديد عدو للمرأة ، لا ينظر الى مصلحتها وسعادتها ، ولا يهتم اذا أصابتها الويلات والكوارث وعاشت في تعاسة حين تنتشر الفاحشة !

يقول الكاتب الانكليزي « برتراند رسل » : « ان نظام الزواج بأمرأة واحدة فقط ، وتطبيقه تطبيقا صارما قائم على افتراض ان عدد أعضاء الجنسين متساو تقريبا. وما دامت الحالة ليست كذلك ، فان في بقائه قسوة بالغة لاولئك اللائي تضطرهن الظروف الى البقاء عانسات»(٥).

٢ـ الحروب الواسعة تقضي على عدد كبير من رجال الامم ، فما أن انتهت الحربان العالميتان حتى ظهرت احصائيات بمن فني في هذين الحربين، وقد قُدر بملايين الشباب . ففي الحرب العالمية الثانية قتل من الرجال ما يقرب من عشرين مليونا ، في الوقت الذي لم يقتل من النساء سوى بضعة آلاف ! ولقد قال G. Anquctil :

«قد قدر بعد الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ـ١٩١٨ بأنه يوجد في فرنسا وحدها ما يقرب من ثلاثة ملايين من النساء اللائي زدن على عدد الرجال . ولاجل هذه الزيادة في عدد النساء ونقصانه في الرجال بدأ بعض المشرعين يقترحون ممارسة تعدد الزوجات .

« وتبين من الاحصاءات التي أجريت بعد الحرب العالمية الاولى ان عشرة ملايين من النساء حكم عليهن بالعزوبة حيث كانت زيادة عدد النساء في روسيا قبل هذه الحرب ٧٠٠ر٠٠٠ امرأة فبلغت بعدها أربعة ملايين . وكان عدد النساء في المانيا قبل هذه الحرب العالمية الاولى يزيد ٨٥٠ر٠٠٠ عن الرجال فبلغت

(٥) الفكر الاسلامي والتطور ص ٢٣٢ .

زيادتهن عن الرجال بعدها مليونين ونصف مليـــون .
وتجاوز عدد النساء في النمسا عدد الرجال بنصف مليون
كما تجاوز عددهن في ايطاليا عدد الرجــال فبلغت أكثر
من مليون . وكذلك تجاوز عددهن في انكلترا المليونين
ـ تقريبا ـ وتجاوز عددهن في فرنسا عدد الرجال بنسبة
١٣ بالمائة »(٦) .

وقد وقعت أوربا في حرج شديد وضيق كبير حـين
دب الانحلال الاخلاقي والاجتماعي فيها أكثر من ذي قبل
فصارت المتزوجات اللاتي فقدن أزواجهن وغير المتزوجات
يتعرضن من بقي حيا من الرجال : متزوجا أو غــــير
متزوج ، وهنا ظهرت المآسي حين تحللت الاسرة الاوربية
فصار الرجل يهجر زوجته ويعاشر امرأة اخرى ، وكانت
هذه الحالة البائسة سببا من أسباب مطالبة جمعيـــــات
نسائية في المانيا بالسماح بتعديد الزوجات، اذ لا وسيلة
تنقذ الناس وتخلصهم من هذه المصائب الا السمـــــاح
بتعديد الزوجات !

واذا كان الفيلسوف الانكليزي « سبنسر » قد شن
حربا ضروسا ضد فكرة تعديد الزوجات ، فقد صــــار
يراها ضرورية جدا للامة حين يفنى كثير من شبابها في
الحروب ، يقول «سبنسر» في كتابه (أصول علم الاجتماع)
« اذا طرأت على الامة حال اجتاحت رجالها بالحروب
ولم يكن لكل رجل من الباقين الا زوجة واحدة ، وبقيت

(٦) الزواج لعمر كحالة ١٢٣/١ .

نساء عديدات بلا أزواج ، ينتج من ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة ، ولا يكون عددهم مساويا لعدد الوفيات فاذا تقاتلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية ، وكانت احداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد ، فلا تستطيع ان تقاوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها ، وتكون النتيجة ان الامة الموحدة للزوجات تفنى أمام الامة المعددة للزوجات»(٧)

(٣)ـ قد تكون الزوجة عاقرا والزوج يحب الذرية حبا شديدا فهو في هذه الحالة : أما أن يطلق زوجته ويتزوج بامرأة ثانية ، مؤملا أن تنجب له أولادا ، وأما أن يبقيها عنده ، ويتزوج بامرأة ثانية عليها • ولا ريب أن بقاء المرأة العاقر في عصمة زوجها في مصلحتها هي : فتكون لها حقوق الزوجية كلها لا تفقد منها شيئا ، والزوج المسلم يعامل زوجاته بالعدل والمساواة ، فيعطي للزوجة الاولى ما يعطي للزوجة الثانية •••

(٤)ـ قد تصاب المرأة بمرض مزمن أو معد يمنع الزوج من معاشرة زوجته ، فلا يكون أمامه الا أن يطلقها أو يتزوج عليها امرأة ثانية • وليس من الوفاء للزوجة ولا من مصلحتها أن يطلقها فيزيد مرضها ويتضاعف ، وتعيش ـ عند ذاك ـ عيشة بائسة ، فلا يبقى أمامه الا أن يتزوج عليها امرأة ثانية • وبهذا تحفظ كرامة المرأة ، وتتخلص من حياة البؤس والشقاء

---

(٧) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي٤/٦٩٢ـ٦٩٣

حيث تبقى في عصمة زوجها ولها كل حقوقها الزوجيـة وما تحتاج اليه من نفقات !

(٥)ـ قد يتطلب عمل الرجل السفر الطويل ، ولا يستطيع أخذ زوجته كلما سافر ، ولا يستطيع أن يصبر ـ أيضا ـ في سفره هذا من دون زوجته ، فماذا يفعـل اذن ؟

لم يكن أمامه الا أن يتصل بامرأة ثانية اتصالا غير مشروع ولا يكون للمرأة الثانية حقوق الزوجية ، ولا يكون لاولادها الذين سيأتون منه حقوق الاولاد الشرعيين وأما ان يتزوج بامرأة ثانية لها حقوقها ، ولاولادهـم حقوقهم ـ أيضا ـ يعترف بها وبهم المجتمع ، ويعيـش الجميع في عزة وكرامة حياة طيبة هانئة · أوليس هذا هو الحل الصحيح ؟

(٦)ـ قد يكون لدى قسم من الرجال شهوة جنسية قوية ، تجعله لا يكتفي بزوجة واحدة فقط ، لكثرة الايام التي لا تصلح فيها للمعاشرة الجنسية : كأيام الحيـض الذي قد يستمر اسبوعين · واذا ولدت المرأة فقد فقدت ـ عند ذاك ـ قدرتها الانوثية ـ وقد يمنع الزوج مـن الاقتراب منها أربعين يوما أو أكثر ··· واذا بلغـت المرأة من العمر خمسين سنة صارت في اجازة شبه دائمة! وهذه الحالة تتطلب علاجا وحلا صحيحا فمـاذا يفعـل الرجل اذا لم يستطع الصبر على هذا الوضع ؟

أيعاشر امرأة ثانية معاشرة محرمة لم يكن لها فـي

هذه المعاشرة من الحقوق الشرعية ولا لاولادها أيضا ٠ ويسيء اليها في ذلك اساءة بالغة ولاولادها ؟ أم يتزوج بامرأة ثانية يصون حقوقها وكرامتها وكرامة أولادها وحقوقهم أيضا ؟

(٧)ـ هناك فارق في فترة الاخصاب بين الرجـــل والمرأة ، اذ تمتد فترة الاخصاب في الرجل الى ســـن السبعين سنة أو أكثر ، بينما لا تمتد في المرأة أكثر من خمسين سنة : فيكون الفارق بين اخصاب الرجل والمرأة عشرين سنة ـ وهي فترة ليست بالقليلة ـ لا مقابـــل لها ، فتجيء هذه الاباحة في الزواج دواء شافيا ينقـــذ الناس من المحن !

(٨)ـ ان المرأة لا تستطيع أن تستغني عن الرجل انها مهما عملت ، ومهما كسبت ومهما توصلت الى مراكز اجتماعية مرموقة ، فان فطرتها البشريـــة تميـــل الى الاقتران بالرجل ، كما ان الرجل يميل الى الاقتـــران بالمرأة ٠٠٠ هذه الحاجة الفطرية لا ينكرها الا مكابـــر متحذلق سطحي ٠٠٠ وهكذا يكون تعديد الزوجـــات ضرورة لا بـــد منهـــا !

الغرب وضريبة منع التعديد

لقد أصبح واضحا الوضوح كله أن الدول التي منعت تعديد الزوجات انتشر فيها الزنا انتشارا فاحشا· وهذا أمر متوقع ، اذ أين تذهب الفتيات الزائدات ، خاصة في عصر كهذا العصر الذي حوى كل ألوان الاثارة الجنسية من الصور الفاضحة والافلام الخليعة الماجنة ، والمقالات الرخيصة الساقطة · وهذه تركيا التي تنكرت للاسلام وقلبت له ظهر المجن سنة ١٩٢٦ حين منعت تعديد الزوجات · ماذا كان نتيجة ذلك ؟

لقد انتشر فيها الزنا انتشارا فظيعا ! لقد حدث ذلك بعد ثماني سنوات من سنها القانون المدني الذي منع تعديد الزوجات ·

على اننا اذا قارنا مقارنة سريعة بين نظام الاسلام في تعديد الزوجات ، ونظام الغرب في تعديد الخليلات والخدينات تبين لنا ان الغرب وقع في أزمة شديدة بسبب منعه لتعديد الزوجات ومن تلك الازمات والامراض : أزمة الطفولة غير الشرعية، ومشكلة الامراض التناسلية التي انتشرت انتشارا مذهلا في المجتمعات الغربية · ويكفينا ان نعلم ان مجتمعا كمجتمع السويد انتشرت فيه الولادة غير الشرعية انتشارا مفزعا حتى بلغت سنة ١٩٦٢ واحدا الى تسعة · وبلغت في انكلترا ويلز

واحدا الى خمسة عشر . وفي الدانمرك أعلنت الاحصائية الرسمية لسنة ١٩٦٢ « ان بين كل اثني عشر طفلا من الاولاد الدانمركيين طفلا واحدا غير شرعي ، وأظهرت التقريرات حالات من الامراض السرية التناسلية بين المراهقين من ١٢ـ١٥ » (١) وهذا معناه ان الامراض السرية تجاوزت الرشيدات الى المراهقات !

وفوق ذلك ، ما حدث في فرنسا بين الحربين العالميتين: فقد بلغت نسبة أولاد السفاح ما يقرب من خمسين في المائة من مجموع المواليد ، وكانوا يسمون أولاد السفاح باسم (الاولاد الطبيعيين) ! وهكذا تنعكس الموازين حتى يصير اولاد الحلال كأنهم أولاد غير طبيعيين !!

أما الامراض التناسلية التي اصيب بها السكان فبلغت ٧٠٪ من مجموع البالغين !

لقد نتج عن منع تعديد الزوجات في الغرب ان نزل الرجل الى قرار سحيق من القذارة الخلقية ، وصارت المرأة الغربية تدخل في نادي (تبادل الزوجات ، أو الصديقات)، فتأتي المرأة مع زوجها الى النادي المخصص لهذا الغرض ، أو الى منزل من المنازل الذي هيء للغرض نفسه . وبعد أن يتم الاقتراح الذي يحدد المرأة لغير زوجها يصحب كل رجل غير زوجته ، فيعاشرها معاشرة جنسية . وقد يكون في الغرفة الواحدة الزوج مع غير زوجته والزوجة مع غير زوجها !

(١) الفكر الاسلامي الحديث ص ٢٩٣ .

ووصلت السفالة الخلقية في الغرب الى درك سحيق حتى انتشر فيه ما يسمى بـ (الزواج الجماعي) وهو أن يسكن عدد من الشبان : خمسة أو أكثر مع زوجاتهم في منزل واحد ، ويتبادلون الزوجات في ذلك المسكن ، فيعاشر كل واحد من هؤلاء الشباب جميع الزوجات معاشرة جنسية • اما الاولاد فينسب كل واحد يأتي من الزوجة الى زوجها ـ وان لم يكن في حقيقة الامر منه ـ وهذا النوع من الزواج قد انتشر في السويد ، لكن الحكومات الغربية لا تطارد هذه القذارة الخلقية ، بل تصب جام غضبها على تعدد الزوجات في الاسلام • ويكتب المبشرون والمستشرقون في تعديد الزوجات في الاسلام ، وينتقدون هذا النظام انتقادا لاذعا زورا وبهتانا أو جهالة من غير أن ينتقدوا الزواج الجماعي ، وتبادل الزوجات في المجتمعات الغربية !

أما القانون الغربي فقد اجاز هذا النوع من الفجور ، ولا يعاقب عليه ، لانه صادر من ارادة حرة من الرجل والمرأة معا !!

على أن المألوف والطبيعي في المجتمع الغربي انه يعايش تعديدا في الخليلات والاتصالات المحرمة تحت سمع القانون وبصره ، ولم يقتصر الرجل الغربي على أربع خليلات فحسب ، بل يتصل بأكثر من ذلك سرا وعلنا ! وهذا التعديد في الخليلات تعديد قانوني ، لا يتحمل الرجل من ورائه اية مسؤولية تجاه المرأة التي اتصل بها اتصالا محرما ولا تجاه اولادها !

المـرأة وتعـديد الزوجـات

الزواج بأمرأة ثانية أو ثالثة أو رابعة لايتم الا بموافقة المرأة التي يريد الاقتران بها ، ذلك أن أحد طرفي الزواج هي المرأة ، ولا يتم العقد الا برضاها ، فان اعتقدت أو ظنت أن هذا الزواج يلحق بها ضررا ، فقد جعل الاسلام أمرها بيدها ، لكنها ان قبلت الزواج من رجل متزوج ، فانها لا تفعل ذلك غالبا ـ الا اذا علمت أن زواجها هذا في مصلحتها هي ، اذ لو وجدت الرجل الكفء غير المتزوج لما أقدمت على الاقتران بمتزوج ، وغالبا ما يحقق هـذا الزواج سعادة للمرأة : ينقذها من العيش الضنـك ، والحياةالقاسية ، ويدفع عنها العُسَر والفاقة والحرج! أما الزوجة الاولى ، فتستطيع أن ترفع أمرها الى القضاء ليحصل التفريق بينها وبين زوجها ان كان يصيبها مـن ذلك الزواج اذى تستطيع اثباته ، بل لقد فتحت شريعتنا الباب أمام التفريق ان اتبع الزوج هواه وتزوج ماجنة على عفيفة ، وخسيسة على نفيسة ، اذ عند ذلك يحصـل الضرر الذي يبيح للمرأة الطلاق • فعندما ذهب بنـــو هشام بن المغيرة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ يستأذنونه في تزويج بنت أبي جهل من علي بن أبي طالب غضب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ولم يـأذن الا اذا طلق علي فاطمة ، كي لا تطعن في كرامتها فقال ـصلوات

الله وسلامه عليه ـ :ـ

« ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن يزوجوا ابنتهم علي بن ابي طالب ، فلا اذن لهم ثم لا اذن لهم ثم لا اذن لهم الا ان يحب ابن ابي طالب أن يطلق ابنتي، ان ابنتي بضعة مني : يريبني ما يريبها ، ويؤذيني ما يؤذيها » (١)

وهذا دليل على أن الزوج لا يجوز له أن يتزوج على زوجته بمن هي دونها حسبا ونسبا ، اذ يلحق مثل هذا الزواج ضررا بالزوجة الاولى ٠

على أن المرأة لها أن تحتاط لنفسها ، فتشترط في العقد ان لا يتزوج امرأة ثانية عليها ، والا فلها أن تختار نفسها وتطلب الطلاق ، وقد منحتها الشريعة ذلك الحق ، واهتم الفقهاء بهذا اهتماما كبيرا ، حتى لقد عقد الفقهاء في كتب الفقه فصلا في مصنفاتهم حول شروط العقد ٠ وهذه الشروط يؤخذ بها ما دامت لا تتعارض مع كتاب الله ولا سنة رسوله ٠ وقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« المسلمون عند شروطهم »(٢) خير دليل على ذلك ٠ والوفاء بشروط الزواج أكثر أهمية من أي شرط كان من الشروط الاخرى ، فلا بد من الالتزام بها ٠ والذي بيّن لنا هذه الاهمية هو سيدنا رسول الله ـ صلى الله

---

(١) حقائق ثابتة في الاسلام لابن الخطيب ص ٢٩ ٠

(٢) رواه البخاري ٠

عليه وسلم ـ فقد قال :

« أحـق الشروط ان توفـوا به ما استحللتم بـه من الفروج » (٣)



(٣) رواه البخاري في كتاب الشـروط ، ومسلم في كتاب النكـاح .

شبهة ساقطة

من الشبهات التي وضعها دعاة عدم التعديد ان الزواج من امرأتين يجعل العداوة بينهما قائمة على قدم وساق ، وكذلك تنتشر بين اولاده !

ويحق لنا قبل الاجابة عن ذلك ان نسأل :

هل الرجل الذي يعقب أولادا من امرأتين : احداهما شرعية والاخرى غير شرعية يكون قد قضى على العداوة بين الزوجة الشرعية وغير الشرعية ، وكذلك يكون قد أزال البغضاء بين اولاده ؟

ان البغض الذي قد يحصل بين الضرائر شيء طبيعي ، ناشيء من الغيرة الطبيعية لدى المرأة ، وان معالجة ذلك تتوقف على حزم الزوج وقدرته على ادارة شؤون أسرته ، وعدالته بين زوجاته ، ومراقبته لله عز وجل. انه ان كان في مستوى مسؤوليته استقامت اسرته ، ولا يجد النزاع الى بيته طريقا . وان فقد تلك الصفات دب النزاع والخلاف في اسرته ، سواء كان معدد الزوجات أم لا !

على أن واقع الناس الذي يعايشونه يكذب هذه الشبهة وأمثالها ، اذ كم رأينا من الاخوة الاشقاء وهم يقتتلون وقد صارت حياتهم جحيما لا يطاق . واخوة لاب عاشوا بصفاء وهناء ، يحب أحدهم الاخر حبا جما

ويعمل لاسعاده ؟!!

نعم قد نجد من يتزوج أكثر من زوجة واحدة ، لكنه يسيء في زواجه ، اذ لا يعدل بين زوجاته ، وهذه قضية تحتاج الى علاج يستأصل الداء ويداوي السقم ، لكن استئصال الداء لا يكون بمنع التعديد الذي فيه من الفوائد ما فيه ، ونحن نلاحظ في معاملات الناس أفرادا لا يسلكون في معاملاتهم السلوك الصحيح المستقيم ··· انهم أناس فسدت أخلاقهم ففقدوا السجايا الناصعة ، فهل تقوم بابطال تلك المعاملات كلها من أجل أناس انحرفوا عن سبيل الحق والخير والهدى ؟

وهل يقول بالغاء التعامل بين البشر كله عاقل تجنبا للمشكلات التي يقوم بها قسم من الناس ؟

واذا كانت اساءة قسم من هؤلاء الجهلة قد تحققت في أمر تعديد الزوجات ، فان هذه الاساءة لا تعد شيئا يذكر اذا نظرنا الى الفوائد الكبيرة التي يحتجنها هذا النظام والى المفاسد التي تنجم عن خطر التعديد !

قالوا في تعديد الزوجات

قال الفيلسوف الالماني (شو بنهور) :

« ان قوانين الزواج في أوربا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل ، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا ، وضاعفت علينا واجباتنا ، وعلى انها ما دامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم ان تمنحها ـ أيضا ـ عقلا مثل عقله ...» الى أن يقول :

« ولا تعدم امرأة من الامم التي تجيز تعديد الزوجات زوجا يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا نفر قليل ، وغيرهن لا يُحصين عدداً، تراهن بغير كفيل: بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت ، وهي هائمة متحسرة، ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ، ويتحملن مشاق الاعمال ، وربما ابتذلن فيعشن تعيسات ، متلبسات بالخزي والعار ، ففي مدينة (لندن) وحدها ثمانون الف بنت عمومية (هذا على عهد شو بنهور) سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الاوربية وما تدعيه لنفسها من الاباطيل » (١)

وقال الفيلسوف الفرنسي الدكتور « غوستاف

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ٧٧ .

لوبون » :

(وان مبدأ تعديد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقي في الامم التي تقول به ، ويزيد الاسرة ارتباطا ، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في اوربا) (٢)

ونشرت جريدة (لاغوص ويكلي وكورد) بتاريخ ١٩٠١/٤/٢٠ نقلا عن جريدة (لندن تروث) مقالا لاحدى السيدات الانكليزيات جاء فيه :

« ولقد كثرت الشاردات من بناتنا ، وعم البلاء ، وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، واذا كنت امرأة تراني انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا وما عسى يفيدهن بثي وحزني وان شاركني فيه الناس جميعا ؟! لا فائدة الا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة ، ولله در العالم الفاضل (تومس) فأنه رأى الداء ووصف له الدواء الكامل الشفاء وهو (الاباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة) وبهذه الوساطة يزول البلاء لا محالة ، وتصبح بناتنا ربات بيوت فالبلاء كل البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة » •

« أي ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين ، أصبحوا كلا وعارا وعالة على المجتمع • فلو كان تعديد الزوجات مباحا لما حاق

(٢) حضارة العرب ص ٣٩٧ •

باولئك الاولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهـون ، ولسلم عرضهن وعرض اولادهن ··· ان اباحة تعدد الزوجات تجعل كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين »(٣)

وممن دعا الى تعديد الزوجات الدكتور (لي يون) فقد ذكر ان نظام الزواج بامرأة واحدة سوف يتغير ، وان القانون الغربي سيحلل نظام تعديد الزوجات « قال الاستاذ Elrenfels : ان ممارسة تعديد الزوجات ضرورية للحفاظ على الجنس الآري » (٤)

ونقل صاحب كتاب (مفتريات على الاسلام) مايأتي:

« ان كبير أساقفة انكلترا لا يجد علاجا لمنع التحلل الخلقي والانهيار العائلي، اللذين فشيا بعد الحرب العالمية الثانية الا باباحة تعديد الزوجات ··· فهو ـ على حد تعبيره ـ الذي يمنع المرأة الانكليزية من الانهيار النفسي ··· وارتكابها للجريمة والعار ، ويرد اليها الكرامة والعزة حيث لا تكون فراشا لرجل الا بكلمة الله » (٥)

وقال (اتيين دينيه) : « ··· فالواقع يشهد بأن تعديد الزوجات شيء ذائع في سائر ارجاء العالم ، وسوف يظل موجودا ما وجد العالم ، مهما تشددت القوانين في تحريمه · ولكن المسألة الوحيدة هي معرفة ما اذا كان الافضل أن يشرع هذا المبدأ ويحدد ، أم أن يظل نوعا

---

(٣) المرأة بين الفقه والقانون ص ٨٢

(٤) الزواج ١/٩٤ ·

(٥) مفتريات على الاسلام ص ٩٣ ·

من النفاق المتستر، لا شيء يقف أمامه ويحد من جماحه»(٦)

وقال ـ أيضا ـ :ـ « ان نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا تنطوي تحتهـا سيئات متعددة ظهرت على الاخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء ـ تلـك هي الدعـارة ، او العوانس من النساء ، والابناء غير الشرعيين »

« وان هذه الامراض الاجتماعية ذات السيئـات الاخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق ، وانما دخلتها وانتشرت فيهـا بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية ، ومن الامثلة القائمة على ذلك ما كان من أمر وادي (ميزاب) حيث تسكن القبيلة التي تعرف بهذا الاسم في بلاد الجزائر ، اذ لم تدخلهـا الدعارة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ » (٧) !

---

(٦) محمد رسول الله تاليف (اتيين دينيه) ص ٣٣٧ .
(٧) اشعة خاصة بنور الاسلام تاليف اتيين دينيه ص ٣٢ .

تعـديد الزوجـات شريعـة محكمـة

'عرف تعديد الزوجات في بيئات العالم كلها متحضرة وغير متحضرة وثنية وغير وثنية · وعندما سطعت شمس الاسلام على الوجود عالجت تلك الفوضى التي لا ضـابط لها ، فلم تحرم التعديد تحريما كليا ، كما لم تترك الحبل على الغارب كما كانت تفعله الجاهلية ، بل قيد الاسـلام التعديد وهذبه تهذيبا يجعل حقوق المرأة مصونة محفوظة · وقد اخذت بهذا المبدأ ـ مبدأ تعديد الزوجات ـ الامـم الراقية والشعوب المتحضرة كما قرر ذلك أساطين علمـاء الاجتماع ومؤرخو الحضارات مثل (وستر مـارك) و (هو بهوس) و (هيلير) و (جنزبرج) فقـد لاحـظ هؤلاء وغيرهم ان وحدة الزوجية كان هو النظام السائد لدى المجتمعات البدائية التي تعيش على الصيد أو جمع الثمار ، بينما المجتمعات المتحضرة كانت تمارس تعديد الزوجات ، ذلك ان نظام التعديد واقعـي يتماشى مـع فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ويستجيب لضرورات البشر وما يحتاجه في شتى البقاع والازمان والاحوال ، فهو ليس بنظام يدعو الى المثالية الفارغة ، ولا الى الاماني الحالمة التي لا يمكن تطبيقها ، بل تهتم بأخلاق النـاس ونقاوة المجتمع ، ونظافة الامة ، فهو يحارب الانحـلال الخلقي وتدهور القيم !

ان المجتمع الاسلامي يختلف عن المجتمع الغربي• ففي الغرب يتزوج الرجل امرأة واحدة فقط ، ويعاشر ـ في الوقت نفسه ـ عشرات الفتيات ، بل المئات • ويلقى الوالد ابنته وعشيقها ، فلا يثور أو يضطرب وتحمر أوداجه ويغلي الدم في عروقه ، بل يُسر بذلك ويفرح، ويهيىء لهما كل أسباب الراحة والطمأنينة• لكن الاسلام الذي حرم نظر الرجل الى المرأة ، ونظر المرأة الى الرجل تمكن من حل هذه المعضلة حين أباح تعديد الزوجات بطريق حلال بدل المخادنة والفجور !

على أن الامم التي منعت التعديد سمحت ـ بعدذلك ـ للتدهور الخلقي ان يفعل فعله ، وفتحت أبواب القذارة الخلقية على مصراعيها ، فاعترفت بالعلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة وغير ذلك مما يندى له جبين الغيور صاحب الذوق الرفيع ، والخلق السامي • وقد اعترفت تلك المجتمعات بالتعديد تحت ستار المخادنة ، فيبقى الرجل مع خدينته أو عشيقته يعاشرها معاشرة الازواج وقد تبقى معه سنوات طويلة ، وتنجب منه أولادا لكنها معرضة في كل وقت الى الطرد من بيته من غير أن يكون لها أي حق كان ، اذ هذه المخادنة لم تكن مسجلة تسجيلا رسميا ، فتذهب هائمة على وجهها بعد أن أخذ منها الرجل زهرة شبابها ، وتركها حائرة جائعة تتقلب على جمر الغضى وترتمض أسى !

لكن الاسلام حافظ على حقوق المرأة حين أباح التعديد

وحرم العلاقات غير الشرعية ، فلا تكون المرأة مع الرجل الا زوجة لها حقوقها وحقوق أولادها ، لا يستطيع أحد أن يمسها أو يتلاعب عليها !

ان العالم الاسلامي اليوم لا يعرف مشكلة تعرف بمشكلة تعديد الزوجات ، ذلك ان نسبة الزواج بأكثر من واحدة في العالم الاسلامي نسبة ضئيلة جدا لا تكاد تذكر ، وهي مع ذلك تسير في تناقص مستمر ، فقد ذكرت مصلحة الاحصاء المصرية سنة ١٩٤٣ مايأتي:

« نزلت نسبة التزوج باثنتين في مدى عشر سنوات من ٤٩ر٤٪ الى ٩٥ر٢٪ والتزوج بالثلاث من ٢٩ر٠٪ الى ١٧ر٠٪ والتزوج بأربع من ٠٤ر٠٪ الى ٠٢ر٠٪»(١) !

ولما ارتفعت الاصوات في الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٢ مطالبة بمنع تعديد الزوجات أعد مشروع لذلك • ودرست اللجنة المشروع ، لكنها رفضته ، مبينة ان نسبة تعديد الزوجات ضئيلة جدا لا تتجاوز ٢٪ اثنان من كل مئة ، وان نصف حالات التعديد هذا كانت بدوافع مقبولة !

لقد أدركت المرأة الغربية حقيقة التعاسة التي عايشتها بعد الحرب العالمية الثانية ، فصارت تحن الى الحياة المنزلية ، لتكون في كنف زوج يحدب عليها ـ ولو لفترة قصيرة ـ بدل أن تكون سائبة متسكعة في الطرقات بعيش

---

(١) الاسلام عقيده وشريعة للاستاذ محمود شلتوت ص ٢١٣ •

مبتذل من الدعارة والفجور ، فصارت النساء في المانيـا ينادين أن يكون الزواج مناوبة بين النساء فتقضي المرأة مع الرجل فترة من الزمن ثم تتركه لتتزوجه الاخرى التي لم تتزوج من قبل ، وقـد تشكلت الجمعيـات النسائية التي تنادي بهذا المبدأ ٠

وارتفعت الصيحات ـ مؤخرا ـ في كل مكان ، مطالبة باباحة تعديد الزوجات ٠ ففي مؤتمر الشباب العـالمي الذي عقد في (ميونـخ) بالمانيـا سنة ١٩٤٨ طـالب المؤتمرون باباحة تعديد الزوجات حـلا للمشكلة التي وقعت فيها المانيا ـ وهي مشكلة زيادة عدد النساء عـلى عدد الرجال زيادة كبيرة بعد الحرب العالمية ٠

أما أهالي مدينة (بون) عاصمة المانيـا الاتحـادية ، فقد تقدموا سنة ١٩٤٩ بطلب الى سلطاتهـم المختصـة يطلبون فيها أن ينص الدستور الالماني على اباحة تعديد النساء ! ولقد قالت استاذة المانية في الجامعة :

« ان حل مشكلة المرأة الالمانية هو في اباحـة تعـديد الزوجات ٠٠٠ انني أفضل أن أكون زوجة مـع عشـر نساء لرجل ناجح ، على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه ٠٠٠ ان هذا ليس رأيي وحدي بل هو رأي نساء المانيا »(٢) ٠

وهكذا حتى اضطرت المانيا أن تبيح تعديد الزوجات بعد أن حظر عليها فترة طويلة من الزمن ! ونستطيع أن

(٢) مفتريات على الاسلام ص ٩٢ ٠

نجد من هذه الاصوات في كل دولة من الدول ، لان ذلك حل صحيح لازمة مستعصية استحكمت حلقاتها ، فذكر الدكتور (فشر) ان الاخطار الهائلة التي يتعرض لهـا المجتمع الغربي يمكن أن تحل باباحة تعـدد الزوجات ، بل يرى اباحة التعديد ضرورية جدا لتخليص المجتمـع الغربي من الهاوية التي أوشك أن يقع فيها !

ولقد وضعت تقييدات على التعديد في عدد من الدول الاسلامية ، لكن هذه التقييدات فشلت ، وظهـر فشلها كالشمس في رابعة النهار • ففي سوريا ـ مثلا ـ سـن قانون ينص على أن يستأذن طالب التعديد من القاضي فيالزواج بامرأة ثانية ، وقد فشل هذا القانون فألغي ، لان مهمة القاضي كانت مقصورة ـ آنذاك ـ علىالتحقق من قدرة الزوج على الانفاق على زوجتـه ، وعلـى ان سمعته طيبة فحسب !

وكان هذا الشرط ـ شرط قـدرة الزوج على اعـالة امرأتين ـ قد وضع في غير موضعه ، اذ لو قلنا به لوجب علينا أن نطالب من يرغب بالزواج الاول بدليـل على تمكنه من اعالة زوجته ، لان ذلك متروك لأولياء المرأة فهم الذين يقدرون ذلك !

وبعـــد :

فان الاسلام يربي المسلم تربية عالية ، ويجعله يزن كل أموره بميزان الاسلام ، ويجعـله كثير المراقبـة لله

والخوف منه، يرجو ثوابه ويخشى عقابه وعذابه. وبهذه الروحية العالية والتربية السامية تأخذ العدالة بين الزوجات أسمى منازلها ، وتتبوأ قمة مجدها ، وان الرجل العادل اذا تزوج بأكثر من زوجة واحدة يستقيم أمر أسرته ، ويعتبر الزواج هذا ربحا للمجتمع ، اذ سيرث الابناء هذه الصفات العالية التي كان يتمتع بها والدهم من القوة والحزم والعدل... أما الزواج بقصد الاضرار بزوجته الاولى أو غيرها فمما حرمه الاسلام ، ولا يتحمل هذا الدين تبعة أفراد أخطأوا في الاستفادة من هذه الاباحة المفيدة !

واذا كان الشارع الحكيم قد سن لنا نظام التعديد ، فانه لم يجعله فرضا لازما على كل رجل مسلم وكذلك ما أوجب على المرأة ولا أهلها القبول بالزواج من رجل له زوجة ، وعقد الزواج لا يتم الا بموافقة الزوجة وموافقة وليها ، فهم لا يزوجون ابنتهم الا اذا اعتقدوا أن في هذا الزواج مصلحة لها !

وهكذا لا يكون في هذا التعديد من الاضرار والمساوىء ما يزعمون ، وتظل قضية تعديد الزوجات شريعة محكمة لانها صادرة من رب العالمين الذي خلق الانسان ويعلم ما يصلح له من النظم والقوانين والتشريعات .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات !

ابراهيم النعمة

ابراهيم النعمة

زواج رسول الله

صلى الله عليه وآله
وصحبه وسلم

(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)

مقـــــدمة

بعـد أن ألقينا نظـرة عامة حول تعـدد الزوجات في الاسـلام ، واتضح أمامنا جليـا أن هـذا التعـدد شيء ضروري في حياة النـاس ، وانه النظـام الواقعي الذي يتماشى وسعادة البشر ٠٠ بعد هذا كـله أحب أن أقف وقفة قصيرة أمام شبهة أخرى ، عمل على اثارة دخان أزرق حولها أعداء الاسلام قديما ، وعملوا على اثارة الدخان نفسه حديثا ، ولكن بأسلوب جديد ، ولبـاس مزخرف ، وعبارات مزوقة مزركشة ٠٠ تلك الشبهة هي : زواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عدد من النساء ، فقد اتخذ أعداء الاسلام ـ بزعمهم ـ من زواجه ـ عليه السلام ـ منفذا يلجون منه للطعن في شخصيته الكريمة ٠٠ ولو أنصف هؤلاء لما تقوّلوا عليه تلك الاقاويل ، بـل لوقفوا بكل اجلال وتعظيم أمام هـذا الرسول العظيـم الذي اصطفاه الله وسدد خطاه ، وأخذ بيديه نحو المكرمات الرائعات ، والسجايا الناصعات ٠٠٠

وسوف يجد القارىء الكريم من غضون هذه الاسطر الحكمة من زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعـدد من النساء ، ويتعرف على هذا الزواج الذي تتمثل فيـه الرحمة والعطف والاحسان والسياسة الحكيمة في أسمى معانيها وأجمل صورها ، ويقول عند ذاك بفـؤاد ملؤه الايمان : لو لم يكن لرسول الله من دليل على انه رسول الله حقاً سوى تعديده للزوجات لكفى به دليلا !

زوجــات رســول الله

تزوج رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فكان جملة من دخل بهن احدى‌عشرة زوجة، ست قرشيات هن: خديجة وسودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة ٠ أما زوجاته الباقيات فمن سائر القبائل العربية ٠ وقد توفيت اثنتان منهما في‌حياته وهما: خديجة بنت‌خويلد، وزينب بنت خزيمــة التي كــانت تلقب في الجــاهليــة بـ (أم المساكين) ٠ واليــك ـ أخي المســلم ـ أسماءهن نظمــاً : ـ

توفي رســول الله عن تســع نسوة
اليهن تعزى المكرمــات وتُنسَبُ
فعائشــــة ميمـــونة وصفيــــة
وحفصــة يتلوهن هنــد وزينبُ
جويــرية ، مع رملة ، ثم ســودة
ثــلاث وســت ذكــرهن مهـــذب

زواج رسـول الله

تعرضت شخصية رسول الله ـ صلوات الله وسلامـه عليه ـ لانتقادات كثيرة من المبشرين وكثير من المستشرقين تنم عن حقد دفين ورثوه عن ابائهم وأجدادهم ٠ ومـن هؤلاء المستشرقين الذين حملوا كبر هذه الفرية النكراء (درمنجهم) و(لامانس) و(موير) و« واشـنطون » و (ارفنج) ٠٠٠

ولم تتفق الحركات التبشيرية والاستشراقية عـلى شيء ـ على اختلاف مشاربها وأهوائها وأحقادهـا ـ كاتفاقها على تشويه شخصيـة الرسول الكريم ، خاصة فيما يتعلق بأمر زواجه ، ذلك ان كل واحد من هؤلاء كان يعتقد ان النفاذ الى تشويه شخصيته بأمر زواجه يفتـح الابواب أمام المفتريات الاخرى لتأخذ طريقها الى النيل من شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشكل اكثر تقبلا وأبعد أثرا ٠

ولو اقتصر أمر هذه الشبهات على المبشرين والمستشرقين فحسب ، اذن لهان الخطب ٠٠ لكن المؤسف ـ حقا ـ أن ينجرف في هذا التيار الذي تجارته الافتراء والدجـل قسم من المتسمين بأسماء المسلمين ، الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، لانهـم تتلمـذوا على المبشريـن والمستشرقين في ديارهم ، فعادوا يرددون تلك المقـولات

الشوهاء النكراء ترديد الببغاء !

لقد أخطأ هؤلاء في سلوكهم هذا المسلك المشين المهين، والطريق المعوج ، ذلك أن الحقيقة لابد لها أن تظهر ولو بعد حين ، مهما اجتهد الاعداء في طمس معالمها واخفاء كنهها ، وان الشمس الساطعة في رابعة النهار لا يحجبها غربـــال ...

واذا كنا نريد أن نناقش هذه القضية مناقشـــة موضوعية ، فان علينا أن نعلم سيرته ـ صلوات ربـي وسلامه عليه ـ ... فكيف كان ـ عليه السلام ـ مـن الناحية الصحية واللياقة البدنية ؟

تحدثنا السيرة انه ـ صلوات الله وسلامه عليـه ـ كان سليم البدن ، قوي الجسم ، تتمثل به الفتوة في أجلى معانيها وأسمى أشكالها ... وظل محتفظا بصحتـه وحيويته وقوته حتى بعد أن بلغ الستين من العمر ، فكان يشهد المشاهد والحروب ، ويكون في الصفوف الاولى في القتال ، بل كان المسلمون يتقون به اذا حمي الوطيس ، واحمرت الحدق ، فما يكون أحد أقرب الى العدو مـن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ !

ومع هذه القوة التي كان يملكها الرسول الكريـم وهذه الفتوة التي يتمتع بها ، فقد كان عفيفا نزيهـا ، نقيا من كل سوء ، طاهراً من كل دنس ، لانه كان يتمتع بقوة روحية ونفسية عظيمة فوق تمتعه بقوتـــه البدنية . وهذه القوة الروحية والنفسية التي وضعها

الله فيه هي التي جعلته يصون نفسه عن الدنايا ، ويحفظ توازنه ، ويكون المثل الاعلى في كل مكرمة من المكرمات ، ورائعة من الرائعات الباهرات ٠٠ كان يملك زمـــام نفسه ، ويتحكم في رغباته ٠ تقول السيدة عائشة ــرضي الله عنها ــ:

« كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقبلني وهو صائم ، وايكم يملك اربه كما كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يملك اربه » (١)

وحين جهر بالدعوة التي أكرمه الله بها صـــارت الاتهامات الكاذبة تنهال عليه من كل جانب، لكن الناس ــ كل الناس ــ لم يجرؤ واحد منهم على اتهامه بطهره وعفـته ونقائه ، ولو وجد المشركون منفذا ينفذون منه للطعن به ، لما توانوا عنه ، بل لو وجدوا خيطا ــ ولو كخيـط العنكبوت ــ لتمسكوا به ، وبنوا عليـه ، وبالغـــوا في ذلـــك ٠٠٠ !

ان الرسول الكريم ــ صلوات ربي وسلامه عليه ــ كان قد تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد وهي أكبر منه سنا : فقد كان عمره ــ عليه السلام ــ خمسا وعشرين سنة حين تم زواجه بها ، بينما كان عمرها هي أربعـين سنة ٠ وبقي ــ عليه السلام ــ معها خمسا وعشرين سنة، لم يفكر في هذه الفترة الطويلة ان يضم الى زوجتـــه الوحيدة زوجة اخرى ، في الوقت الذي نجد تعديـــد

---

(١) رواه مسلم ٧٧٧/٢ ٠

الزوجات نظاما شائعا ، وكان الناس اذ ذاك يكثرون من تعديد الزوجات ، ولم يكن لهذا التعديد حد فمن حق الرجل أن يتزوج بأي عدد كان من الزوجات الحرائر حتى حدد الاسلام التعديد بأربع بعد أن كان بلا حد ، وذلك في السنة الثامنة من الهجرة حين نزل قوله تعالى :
« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... »(٢)

واذا نظرنا الى المهمة التي كلف الله بها رسوله نجد أنها مهمة شاقة متعبة تستنفد أوقاته كلها : فكان – صلوات الله وسلامه عليه – يحفظ القرآن من جبريل – عليه السلام – ويرجع الى الناس في مشكلاتهم التي تقع بينهم ، ويؤمهم في الصلوات الخمس ، ويقضي حاجاتهم ، ويكثر من الصيام والتهجد والصلاة والعبادة فيبيت ليله راكعا ساجداً ، يتعب نفسه من كثرة العبادة، وقد تورمت قدماه من كثرة القيام في الصلاة ، ويكثر من السجود حتى يظن بعض زوجاته انه قد قبض حتى نزل عليه الوحي يدعوه أن لا يرهق نفسه كثيراً في العبادة فقال تعالى :

« طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » (٣)

وكان – صلوات الله وسلامه عليه – يتعب نفسه ويرهقها من أجل ايمان الناس حتى نزل قوله تعالى :

---

(٢) سورة النساء/٣ .
(٣) سورة طه/١–٢ .

« فَلَعَلَّك باخعٌ نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا»(٤)

فان الذي هذا دأبه في العبادة وشغله الشاغل في دعوة الناس الى الهداية لا يكون انسانا يحب الشهوات ،

أما حروبه فكانت متصلة : لايكاد يفرغ من حرب حتى يعد العدة لحرب اخرى بعد أن ينقض المشركون عهودهم ، ويعملوا على النيل من دولة الاسلام ، وكان منشغلا ـ أيضا ـ بمقابلة الوفود ومراسلة الملوك وقيادة المعارك العسكرية ...

وكانت دولة الاسلام ناشئة فتية ، تحتاج الى جهد واسع كبير لتقف على قدميها . وكان رسول الله مشغولا بأمر الدعوة الى الاسلام ، قد ملكت عليه حواسه كلها ، فمن أين له الوقت الذي يتفرغ فيه للتفكير بأمر الزواج بعدد كبير من النساء من أجل اشباع رغباته ؟!

على أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يستكثر من النساء في شرخ الشباب وعنفوان القوة ، فلم يتزوج الا بعد أن بلغ من العمر خمسا وعشرين سنة من امرأة عمرها اربعون سنة ، وظل معها فترة طويلة من الزمن ... ظل معها خمسا وعشرين سنة ، حتى التحقت بالرفيق الاعلى ، فلم يتزوج عليها واحدة من النساء في حياتها .

ولو كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد

(٤) سورة الكهف / ٦ .

الزواج من أجمل بنات العرب وأحسنهن نسبا لفعل ذلك ، ولضمّ اليه من جواري فارس والروم أحسنهن جمالا ورواء وبهاء ... لو كان يريد ذلك لفعل ، فقد كانت الظروف مواتية لديه : ألم تكن الاموال والغنائم التي تأتيه من غزواته تتدفق على دولة الاسلام من كل جـانب ؟!

أجل ، كانت الاموال تجبى الى دولة الاسلام ، فتجمع في المسجد ، ويقوم رسول الله بتوزيعها فما ينقضي ذلك اليوم حتى يكون الرسول قد فرّق تلك الاموال والغنائم والجواري ، لا يبقي منها شيئا !!

ويظهر لمن يقرأ سيرة الرسول الكريم مع زوجاته أن زواجه منهن كان يعتبر ـ بحق ـ تكريما للمرأة ، ورفعا لمنزلتها التي تهاوت فسقطت الى الحضيض في دركات مظلمة ... فكم عانت المرأة من ظلم وجور وافتئات ألمّ بها ، فتركها تتلوى ألما وترتمض أسى وتتقلب على جمر الغضى ، حتى جاء الرسول الحكيم فضرب أروع الامثلة في العدل بين الزوجات ، ودعا الى اكرامهن والاحسان اليهن ؟!

ان هذه المعاملة الطيبة التي كان يعامل بها الرسول زوجاته ، كانت درسا عمليا بليغا ألقاه على الصحابة ليقتدوا به ويقتفوا أثره في احترام المرأة ، بل ألقاه على العالم كله ليبعد عنها شبح الحيف والظلم والجور .

لقد قاد حملة الافتراء والدس على رسول الله ـ صلى

الله عليه وسلم ـ في هذه القضية اليهود ، فهم أول من قالوا : ان هذا الرسول لا همَّ له الا النساء والنكاح ، ولو كان نبيا ـ كما يدعي ـ لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى ردا عليهم :

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية »(٥)

وهكذا يبدو واضحا من هذه الاية أن تعدد الزوجات أمر درج عليه الانبياء السابقون ، وليس ذلك مخالفا لما أمر الله به من تبليغ الدعوة وحمل الرسالة ...

واذا كان المبشرون والمستشرقون يتخذون من زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بابا يلجون منه الى الطعن بالرسول الكريم فيقولون مثلا :

لماذا لم يكن رسول الله كالسيد المسيح الذي لم يتزوج ؟ فان من يقول ذلك ينسى أو يتناسى ما قرره علماء الاجتماع قديما وحديثا من أن عادات الامم تختلف من أمة الى أمة ، ومن زمان الى زمان ، ومن مكان الى مكان ، فما كان صالحا لامة من الامم ليس شرطا أو بالضرورة أن يكون صالحا لامة أخرى تختلف عنها في الزمان والمكان والعادات .

لقد بعث السيد المسيح ـ عليه السلام ـ والامة قد غرقت في الماديات والشهوات الى الاذقان ، فجاء يوجه الناس نحو القضايا الروحية ، ويعمل نحو توجيه بني

---

(٥) سورة الرعد / ٣٨ . وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٩ بتحقيق السيد صقر . الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ .

اسرائيل الى التخفيف من الاندفاع في الشهوات والماديات!

لقد عرف تعدد الزوجات عند العرب في الجاهلية ، وكان الناس اذ ذاك يتزوجون ما يشاؤون من النساء ، من غير أن يقيد هذا التعديد بقيد أو حد . ولم يكن التعدد منتشرا بين عامة الناس فقط ، بل كان منتشرا – أيضا – بين حماة الكنيسة والبطارقة والامراء : فقد تزوج المنذر بن الحارث بن أبي جبلة الغساني الذي كان بطريقا وحاميا للكنيسة الشرقية عددا كثيرا من النساء. وتزوج النعمان بن المنذر ملك الحيرة عددا من النساء – أيضا – ولم يكن زواج النعمان بذلك العدد من النساء قبل تنصره فقط ، بل تزوج نساء كثيرات بعد تنصره كذلك !

ان التزوج من عدد من النساء ليس خاصا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقط ، فقد كان ذلك شائعا في الجزيرة العربية ، وكان كثير من العرب يتزوج الواحد منهم عددا ليس بالقليل من النساء في الجاهلية والاسلام فقد تزوج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الزوجات الاتية اسماؤهن في الجاهلية :

١– زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة.

٢– مليكة بنت جرول الخزاعي .

٣– قريبة بنت أبي أمية المخزومي ،

أما في الاسلام فتزوج رضي الله عنه :

٤– أم حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومي .

٥ـ جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الاوسي الانصـــــاري .

٦ـ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب .

٧ـ فكيهة اليمنية [كذا في الكامل ، أما في الطبري (لَهيَّة) وكذلك أوردها الواقدي] ثم أورد « فكيهة »

وخطب أم كلثوم بنت الصديق ، وأم ابان بنت عتبة بن ربيعة ورفضتاه لمهابته (٦) .

أما علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ فقد تـزوج مـن :

١ـ فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

٢ـ أم البنين بنت حرام الكلابية .

٣ـ ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية .

٤ـ أسـماء بنت عميس الخثعمية .

٥ـ الصهباء بنت ربيعة التغلبية .

٦ـ امامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس .

٧ـ أم سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية .

٨ـ مخبئة بنت أمرىء القيس بن عدي الكلبية(٧) .

ومعلوم أن سيدنا عليا لم يجمع بين أكثر من أربع زوجـــات .

ان الحكمة في زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

(٦) الاسلام في قفص الاتهام ص ٢٥٢ .
(٧) الاسلام في قفص الاتهام ص ٢٥٢ـ٢٥٣ .

أمر يستطيع أن يتوصل اليه المسلم وغير المسلم اذا تجرد عن الهوى والاحقاد وأراد الوصول الى الحقيقة ٠ وكم من علماء وفلاسفة غير مسلمين درسوا هذه القضيةدراسة موضوعية متجردين عن الاهواء والاحقاد ، فعادوا يسفهون افتراءات قومهم عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٠

لماذا عدد رسول الله زوجـاته

نستطيع ان نقتصر اسباب تعدد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لزوجاته باسباب عامة واسباب خاصة •

أ ـ الاسباب العامة

١ـ ان الله تعالى حين أرسـل محمـداً ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أرسله للناس كافة : للرجال والنساء •
ومن أحكام الشريعة مايكون مشتركا بين الرجال والنساء، ومنها ما يكون مختصا بصنف دون صنف • والاحكام التي تختص بالنساء كثيرة ، ويجد الرجال حرجا في ايضاحها الى النساء ، بل ان سيدنا رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يجد حرجا في تبيين قسم من الاحكام الخاصة بالنساء ، خاصة الاحكـام المتعلقـة بالغسل والطهـارة والحيض والنفاس ، فلا يستطيع تبليغهـا الى النسـاء بصورة واضحة بيِّنة الا عن طريق نسائه •

واذا كانت الاحكام الشرعية المتعلقة بالنساء متعددة الجوانب ، وان هذه الاحكام تتعلق بالنساء ـ كل النساء ـ ادركنا أن امرأة واحدة لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة ولا يستطيع أن يقوم بذلك الا عدد من النساء من قبائل متعددة لنشر أحكام الشريعة في العالمين •• فلا بـد اذن ان يتلقى النساء هذه الاحكام عن طريق نسائه، ليحصل تبليغ الشريعة تبليغا كاملا ، وهل من وسيلة ناجحـة في

هـذا أحسن من تزوجـه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لعدد منهن ٠٠٠!

وفوق ذلك ، فقد نشرت نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا من الاحكام المتعلقة بالعقيدة والشريعة الاسلامية ، كما ذكرن سيرته وأخلاقه وجوانب كثيرة من حياته ٠ وقد أصبح لأزواجه خصائص : فهن أمهات المؤمنين ، بلّغنَ عنه كل ما عرفنه من أحكام وخلق ٠

٢ـ ان دعوة رسول الله كبيرة عظيمة ، وقد أرسله الله الى الناس كافة ٠٠ فلا بد أن يستجلب القلوب ليتمكن من تبليغ هذه الرسالة، وليس من عامل أقوى من المصاهرة في توثيق الروابط بينه وبين القبائل ، وجمع الناس حوله ، ليتمكن من تبليغ دعوة الله الى الناس ٠

ب ـ الاسباب الخاصة :

أما الاسباب الخاصة ، فمعرفتنا تدعونا أن نستعرض استعراضا سريعا هذه الزيجات لنرى الدوافع الحقيقية من ورائها :

خديجة بنت خويلد

مكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكة مايقرب من خمسة وعشرين عاما قبل أن يتزوج · وهذه الفترة التي قضاها رسول الله قبل الزواج تعتبر بحق من أدق الفترات التي يعايشها الانسان ، اذ يتجلى فيها شرخ الشباب وقوته وحيويته · وقضى رسول الله ـ عليه السلام ـ هذه الفترة وهو عفيف نزيه طاهر ، لم تعلق به أية ذرة من غبار العار أو الانحراف·· هذه الاستقامة في الخلق تعطينا كل دليل وبرهان على كذب ما ألصق برسول الله من تهمة ظمئه وتعطشه الى النساء ، اذ لو كان الامر كما يزعمون لتعجل رسول الله في زواجه ، أو لأصابه شيء من الانحراف وحاشاه !

لم يتزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا بعد أن بلغت سنه الخامسة والعشرين ·· وتم زواجه بعد أن تاجر لخديجة بمالها فأعجبت بأمانته وخلقه وسيرته··

كانت خديجة ذات مال وثراء ، وتعد من أشرف سيدات مكة ·· تزوجت في الجاهلية مرتين : مرة من عتيق بن عابد المخزومي الذي ولدت له (حارثة) · فلما مات عنها تزوجها أبو هالة مالك بن النباش وولدت له ابناً وبنتا ، ثم مات عنها·· وبقيت بعد موته من غير زواج· ولقد خطبها عدد ليس بالقليل من الناس ، بل من أشراف

الناس، لكنها كانت تعزف عنالزواج منأي واحدمنهم !

كانت السيدة خديجة ذات ثروة ومال ، وكانت تطلب من الرجال أن يعملوا بأموالها بالتجارة لقاء مأل تدفعه اليهم ، وقد سمعت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمانته وأخلاقه، فطلبت منه أن يذهب الى الشام بتجارة لها ، وأرسلت معه غلامها ميسرة ٠ وحين عاد رسول الله من التجارة وتعرفت على أخلاقه أكثر مما عرفته من قبل رغبت في نكاحه ٠٠٠

لقد أعجبت برسول الله لامانته وخلقه وشمائلـــه وسيرته فأرسلت اليه أختها أو صديقتها لتقول له : مـــا الذي يمنعك أن تتزوج ؟

قال : لست أملك ما أتزوج به ٠

قالت : فأن كفيت ذلك ، ودعيت الى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟

قال : فمـــن هــــي ؟

قالت : خديجة بنت خويلد ٠

قال : فكيف لي بذلك ؟

قالت : عليَّ ذلك ٠

وهكذا أعلن رسول الله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ رضاه من زواجه من خديجة وهو يعلم أنها تكبره خمسة عشر عاما ، وانها كانت قد تزوجت مرتين قبله ٠٠٠

ولقد عاش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع السيدة خديجة أكرم عيشـــة ، وعاشا معـــا في حيــــاة

سعيدة هانئة ، يتمثل فيها الوفاء والحب في أسمى معانيه ، وقد ولدت له القاسم وعبدالله وزينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية ٠

واذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد سعد سعادة عظيمة حين تزوج بالسيدة خديجة ، اذ كانت له نعم الزوج ٠٠ فقد كان مشغولا بأمر اخر ، ملك عليه مشاعره وحواسه كلها : فقد كان يكثر من التعبد بغار حراء ، ويظل شهر رمضان بأكمله في هذا المكان ، يحمل اليه الطعام وهو في الغار ، ويكثر من عبادة ربه ٠

وهكذا نجد الرسول الكريم يترك بيته وزوجه الى غار في جبل موحش ، ويظل فيه الليالي والايام الطويلة وحيدا لا يشغله شيء الا العبادة والتفكير ٠٠ فهل يفعل ذلك من كان مزواجاً مغرما بالتزوج من النساء ؟!

لقد كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ سعيدا كل السعادة في هذا الزواج، اذ قامت السيدة خديجة بتصديقه بالدعوة التي أكرمه الله بها ، ولم تبخل عليه بشيء من مالها ونفسها !

وبقي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع السيدة خديجة خمساً وعشرين سنة ، لم يتزوج عليها امرأة اخرى وهو في ريعان الشباب في مجتمع تعارف على تعدد الزوجات ٠ وحين توفيت حزن عليها ـ عليه السلام ـ حزناً شديداً ، وكان عمرها أربعا وستين سنة أو خمسا وستين سنة !

وظل رسول الله وفياً لزوجه بعد موتها : فكان يكثر من الثناء عليها ويصل صديقاتها اكراما لها ٠ قالــت عائشـــة :

« كان رسول الله اذا ذكر خديجة اثنى وأحسن الثناء عليها ، فغرت يوماً وقلت : [ما أكثر ما تذكرها ، حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها] فقال : ما أبدلني الله خيراً منها ، قد امنت بي اذ كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني أولادها اذ حرمني أولاد النساء »(١)

---

(١) رواه البخاري ومسلم ٠

ســودة بنت زمعــة

كانت السيدة (سودة) قد آمنت بالاسلام منذ وقت مبكر ٠٠ فهي من أسبق النساء في الدخول بالاســلام ، وخالفت بذلك أبناء عمها وأقاربها ٠ وقد تحملت فــي سبيل الاسلام ما تحملت من اضطهاد كبير من أهلهــــا وغيرهم حتى اضطرت وزوجها السكران بــن عمرو أن يهاجرا الى الحبشة الهجرة الثانية ، وقد عادا بعد ذلــك الى مكة ، فتوفي زوجها بعد عودته بوقت قصير ٠ وبقيت (سودة) فريدة وحيدة ، فلو عادت الى أهلها لعذبوهــا عذاباً شديداً ، ولتفننوا في ايذائها بغية ارجاعها عـــن الاسلام الى الوثنية ، لانها آمنت على كره منهم !

وفوق ذلك ، فقد صارت بعد موت زوجها في ســن متقدمة ، وأصبحت بطيئة الحركة ٠٠ وهي في الوقــت نفسه ذات حسب ونسب ، فلا تقبل الزواج من رجل لا يكافئها في حسبها ونسبها ٠٠٠ حدث هذا كله في مجتمع مكة قبل الهجرة الذي تنكر للاسلام كل التنكر ، فتدخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فكشف عنها هــذه الغمة ، وأنقذها من العيشة الضنكى والحياة القاسيــة حين خطبها وأكرمها بالزواج منه ، وذلك قبل الهجــرة بسنتين ، لكنه لم يبن بها الا في المدينة ٠٠٠ وبقي معها خمس سنين الى أن تزوج بالسيدة عائشة ، فوهبـــت

لعائشة ليلتها ٠

وهكذا أكرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المرأة التي كانت من أسبق النساء الى الدخول بالاسلام والتي صبرت على اذى قومها والتمسك بعقيدتها وايمانها ٠٠ فقد أكرمها رسول الله وواساها عن زوجها ولم يتزوج بها الا لايوائها وعدم التخلي عنها ، وفاء لها ولزوجها الذي هاجر فراراً بدينه الى الحبشة ٠ وكان في هذا الزواج استمالة لقومها الذين صاروا أصهار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ !

وظلت السيدة (سودة) عند رسول الله حتى توفي عنها مع سائر زوجاته ٠

عائشة بنت أبي بكر الصديق

كانت السيدة (عائشة) قبل أن يتزوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مخطوبة لرجل مشرك يدعى (جبير بن مطعم) ٠ وظلت مخطوبة له مدة عامين ، لكنْ جبيرا أصرّ على الكفر،فحصلت الفرقة بينهما٠وتزوجها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو ابن خمس وخمسين احكاماً لرابطة الاخوة ، بينه وبين أبي بكر الذي أحب الرسول الكريم وواساه ، وأحبه الرسول ٠٠ واساه في كل حياته ، وصحبه في هجرته ، وأثنى الله عليه بقوله :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ٠٠٠ » (١)

لقد أراد الرسول الكريم أن يكرم أبا بكر ليزيده قرباً الى قربه ، فتزوج ابنته عائشة ٠

وفوق ذلك ، فان علاقة الرسول بأبي بكر كانت قوية متينة ، وكان أبو بكر يلازم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حياته كلها ، فان زواج الرسول من عائشة بنت أبي بكر يرفع الحرج عن أبي بكر في دخول بيت رسول الله في أي وقت شاء ٠

والسيدة (عائشة) هي الزوجة الوحيدة التي تزوجها بكراً ، لم يتزوج امرأة بكرا قبلها ولا بعدها ٠

---

(١) سورة التوبة / ٤٠ ٠

حفصة بنت عمر بن الخطاب

كانت السيدة (حفصة) متزوجة من رجل مسلم يدعى (خنيس بن حذافة) الذي اشترك في غزوة بدر ، فأصابته جراح فمات • ولقد ذكر عمر حفصة لابي بكر الصديق لعله يتزوجها ، لكِنه سكت ، فأثَّـر ذلك في نفس عمر • ثم ذكرها لعثمان بن عفان بعد أن توفيت زوجه (رقية) لعله يتزوجها فأجابه عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم ، ذلك أن عثمان كان يرغب في الزواج من أم كلثوم بنت رسول الله ، فأثَّـر ذلك ـ أيضاً ـ في نفس عمر ، وذهب يشكوهما الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتدارك رسول الله الموقف فذكر لعمر أن حفصة سيتزوجها من هو خير من عثمان ، وخطبها رسول الله وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة •

ويتضح من هذا أن زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من حفصة ان هو الا ضرب من المجاملة التي يحتاج اليها المسلمون كل الحاجة ، حفظاً على بقاء المودة والاخوة بين المسلمين ، خاصة بين المقربين اليه ، الذين يؤ زرونه في كل عمل من أعمال نشر الدعوة الاسلامية•

كما أن هذا الزواج يعتبر تكريما لسيدنا عمر وزير رسول الله ، صاحب النظرات الثاقبة الصائبة ، الذي لم يبخل بشيء من أجل نشر دعوة الاسلام !

على أن هذا الزواج يعتبر مكافأة قدمها رسول الله للسيدة حفصة على ايمانها ، وتعويضاً عن فقد زوجها الذي قتل في سبيل الله وهو يجاهد جهـــاد الابطـــال ، فتزوجها رسول الله وعمره ٥٥ سنة ٠ وقد سرّ سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ كل السرور بهذا النسب الشريف!

والذي يدلنا على أن هذا الزواج كان تشريفـــاً لسيدنا عمر انه حين بلغه أن رسول الله طلق حفصة ، ما كان من عمر الا أن حثا التراب على رأسه ، وقال والالم يعمل فيه عمله : ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا ؟! ولم يقر لسيدنا عمر قرار الا بعد أن تيقن أن رسول الله لم يطلق ابنته حفصة ٠

زينب بنت خزيمة

كانت قد تزوجت من (الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب) ، ثم تزوجت من أخيه (عبيدة بن الحارث) الذي قتل شهيداً في بدر حين خرج للمبارزة ٠٠٠

كانت هذه السيدة الجليلة تدعى بأم المساكين لحبها لهم وعطفها عليهم ٠ وحين استشهد زوجها كانت قد تجاوزت سن الشباب ، ولم تكن بذات جمال ٠ وقد تزوجها الرسول الكريم عطفاً عليها ، ومواساة لها ، وجبراً لمصابها ، وحفظاً لدينها ، ورعاية لابنائها ، وتعويضاً عن زوجها الذي استشهد في الجهاد وهو يدافع عن حرمات الله ٠٠٠ وقد تزوجها الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بعد أن بلغت من العمر ٦٠ سنة ، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة ٠ ولم يطل بها المقام في بيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد أدركتها المنية التي لا مفر منها ، فتوفيت ــ رضي الله عنها ــ بعد زواجها من رسول الله بفترة وجيزة !

أم سـلمة

هند بنت أبي أمية

تزوجت هند من ابن عمها عبدالله بن عبدالاسد ، وكانا قد أسلما وهاجرا الى الحبشة ، ثم قدما الى مكة وهاجرا بعد ذلك الى المدينة ، واشترك زوجها في غزوة احد ، فأصابته جراح فمات ... !

ولقد خطب أم سلمة أبو بكر ثم عمر بعد موت زوجها فاعتذرت عن الزواج برفق بكبر سنها وكثرة أولادها .

كانت أم سلمة قد سمعت قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله انا لله وانا اليه راجعون : اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا أخلفَ الله له خيرا منها » (١)

وحين توفي زوجها تذكرت حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصارت تردده ، لكنها كانت تقول في نفسها : ومَن خير من أبي سلمة ؟ رجل نال الصحبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ ومع ذلك فقد كانت تكثر من قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا وتسترجع !

وتقدم رسول الله بعد موت زوجها يواسيها وقال

---

(١) رواه مسلم ٢ / ٦٣٢ .

لها : سلي الله أن يؤاجرك في مصيبتك وان يخلفك خيراً ... وهنا سألت رسول الله : ومَن يكون خيراً من أبـــي ســـــــلمة ؟ .

فخطبها رسول الله وتزوجهـــا وكفلهـــا وابناءهـــا ، وزوج ابنها سلمة من امامة بنت حمزة بن عبدالمطلب .

لقد تزوجها رسول الله ليكرمها ، وليعوضها خيراً من زوجها الذي فقدته !

كان لام سلمة أولاد كثيرون فاواهم كما آواهـــا ، مجازاة لها على سابقتها في الاسلام ، وايمانها بالله ورسوله وهجرتها الى الحبشة ثم الى المدينة ، وثباتها على ايمانها وعقيدتها . وقد قالت أم سلمة لرسول الله ـ صـــلى الله عليه وسلم ـ حين خطبها : فيَّ خلال ثلاث : أنا كبـــيرة السن ، وأنا امرأة معيلة ، وأنا امرأة شديدة الغـــيرة . فقال لها الرسول الكريم : أنا أكبر منك سناً ، وأمـــــا العيال فالى الله ، وأما الغيرة فادعو الله فيذهبها عنك !

زينب بنت جحش

بعث رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في مجتمع تحكمت فيه الفوارق الطبقية الموروثة ، فأراد العليم الخبير أن يحطم هذه الطبقية الجائرة فيجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، فأمر رسوله أن يزوج زيد بن حارثة من ابنة عمته زينب بنت جحش •

ان زيد بن حارثة كان قد سبي في الجاهلية فاشترته السيدة خديجة ووهبته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتبناه الرسول الكريم قبل أن يكرمه الله بالنبوة وكان عمره اذ ذاك ثماني سنوات ، وظل يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى : (ادعوهم لابائهم) (١)

كان ذلك المجتمع ينظر الى الموالي ـ وهم الرقيق الذين حرروا ـ نظرة خاصة ، فتعتبر منزلتهم دون منزلة الاحرار الاخرين ، فكيف تتزوج زينب وهي الحسيبة النسيبة ، بل هي من أعلى القبائل العربية نسباً من رجل كان عبداً ، فحرره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فقد امتنعت من هذا الزواج أول الامر ، كما امتنع أخوها ـ أيضاً ـ من امضائه حتى نزل قوله تعالى:

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله

---

(١) سورة الاحزاب / ٣٣ •

ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٢) عند ذاك أذعنت السيدة زينب وأخوها لامر الله ورسوله ، فتزوجها زيد، ودفع صداقها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ٠

هكذا تمّ زواج زيد من زينب ، لكن هذا الزواج لم يكتب له الدوام ، ولم يكتب لزينب أن تنسجم مع زيد ، لان ذلك تدبير العليم الخبير ٠٠ فقد كانت عادة التعالي على الموالي أمراً شائعاً في المجتمع ، ولم تستطع زينب أن تتخلص من عقابيله ، فكانت تتعالى على زوجها زيد ، وتسمعه كلمات لا يحبها ٠٠٠ ويأتي زيد الى الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يشكو زينب ويخبره الخبر ٠٠٠ !

وتظل الخلافات قائمة مستحكمة حلقاتها بين زينب وزيد لامر الهي ٠ ويأتي زيد ــ بعد أن وصل الجفاء والخصام أشدهما وبلغ السيل الزبى (وجاوز الحزام الطبيين) الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستأذنه في طلاقها ، فيرد عليه الرسول الكريم قائلا له : « امسك عليك زوجك واتق الله » ٠

لقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعلم أن زيداً سيطلق زينب وسيتزوجها رسول الله ، ليبطل ما تعارفت عليه الجاهلية ، فقد ألهم الله رسوله ذلك ٠ وأقول (ألـهَم) لان الحادث وقع من غير نزول وحي قرآني ٠ أما الايات ، فلم تنزل الا بعد وقوع الامر ٠

(٢) سورة الاحزاب / ٣٦ ٠

فهذا الزواج اذن تشريع الهي يبطل تحريم زوجة المتبنى ... وهذا أمر خطير جداً ، لم يكن استئصاله بالامر الهيّن ، ذلك أن نظام التبني كان قد انتشر انتشاراً واسعاً في المجتمع العربي ، وظهرت له أثار مهمة ، لم يكن ليتخلص منها بأمر سهل ميسور كما يتخلص من أنظمة أخرى ليست لها أثار في حياة الناس ، اذ التقاليد الاجتماعية قد تؤثر في المجتمع تأثيرات مباشرة ، ويكون لها أعمق الاثر في نفوس الناس .. ان هذه التقاليد الاجتماعية الموروثة ، لا يستطيع مجتمع من المجتمعات أن يتخلص من عقابيلها الا بعد ظهور حركة عمليه مضادة لتلك التقاليد ... وهذه الحملة المضادة لا يكتب لها النجاح ، ويتقبلها الناس بالترحاب لاول وهلة ، بل لا بد أن تجد معارضة شديدة عنيفة من قسم من الناس: يستنكرونها ويحاربونها .

ان استئصال هذه العادة لا يكون الا بتشريع عملي يحسم هذه القضية ، ولا بد أن يكون القائم على استئصالها يملك قوة وشهرة عظيمتين ليستأصلها ويحل محلها شريعة سمحة ، ومَن غير رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يصلح أن يبطل هذه العادة التي ظل العمل بها قائماً مدة أجيال عديدة ؟

ان تحطيم هذا العرف الجاهلي لا يكون الا بفعل واقعي يقدم عليه رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لتقتدي به الامة الاسلامية فيما بعد ، بل لتتخذه البشرية

ـ كلها ـ نبراسا تهتدي بهديه كلما أظلمت الدنيا ، وتلبدت السماء بغيوم الجاهلية التي تدعو الى احياء النعرات الجاهلية !

وهكذا نزلت الايات من القرآن الحكيم تبطل عقيدة العرب هذه ، وتطالب النبي أن يقوم بنفسه في ابطالها ، ولهذا لا يكون هذا السؤال وارداً في مكانه : لماذا لم ينزل الله آيات تبطل هذه العقيدة من غير أن يكلف رسوله عبء هذا العمل الشاق بنفسه ؟ ذلك أن هذا الامر جد مهم ... وكم كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتولى بنفسه الاخذ بقسم من التشريعات ليقتدي المسلمون به ! فحين تم صلح الحديبية وأمر رسول الله المسلمين بالنحر والحلق لم يستجب أحد منهم ، وغضب رسول الله ودخل على زوجه أم سلمة فقال لها : هلك المسلمون ! وتسأله أم سلمة : لماذا يارسول الله ؟

فيقول : أمرتهم بالنحر والحلق فلم يفعلوا . وهنا أشارت عليه أم سلمة بأن يتولى هو الامر بنفسه فينحر بدنه ويحلق رأسه . وحين فعل ورآه المسلمون سارعوا الى الاقتداء به ، وفعلوا كما فعل ، اقتداء وتأسياً به ..

لقد فعل المسلمون ذلك ، لان دلالة الفعل ـ دائما ـ تكون أقوى من دلالة القول .

لقد كان الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على جانب كبير عظيم من الحرج فيما الهمه الله من أمر الزواج من زينب بعد أن يطلقها زيد ! ونلاحظ

من سياق الايات ان الرسول الكريم بذل جهوده كلها من أجل عدم اتمام هذا الزواج ٠٠ فقد أصابه ـ عليه السلام ـ هم شديد ، اذ كيف يقدم على هذا العمل الذي سيقابله الناس بكل استنكار ، وسيقول الناس عنه : انه تزوج امرأة المتبنى التي لا يحل له الزواج منها ؟

لقد أخفى الرسول الكريم في نفسه هذا الامر من غير أن يبوح به ، لكن هذا الامر الذي خشي الرسول الكريم من مغبته هو الذي أراد الله اظهاره !

واذا كان الرسول الكريم قد تريث في الاقدام على الزواج من زينب بعد طلاقها وانقضاء عدتها ، فربما فعل ذلك أملا في أن يعفيه رب العالمين من هذا الزواج ، لانه كان في حرج شديد ٠

وليس هذا فحسب ، بل خطا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطوة في كتمان قضية الزواج من زينب ، وذلك حين جاءه زيد يشكو امرأته ويرغب في طلاقها ، فيرد عليه الرسول الكريم قائلا له :

« أمسك عليك زوجك واتق الله »

ان هذا الذي أخفاه رسول الله ليس فيه مغمز ولا مأخذ ، ذلك ان هذا الالهام لم ينزل به وحي قرآني يحسم الامر ٠٠ وقد تردد رسول الله في تبيان ما ألهمه الله اياه ، خشية ان يحدث تصدع وردود فعل في صفوف المسلمين ٠٠ وقد جاء العتاب القرآني ، لان الرسول تردد ـ وهو مجتهد في تردده ولم يكن هذا التردد سوى

خلجة من خلجات النفس ٠

بعد هذه الحادثة نزلت الايات الكريمة تعاتب رسول الله على تريثه وتوقفه في اظهار هذه القضية ، وتدعوه الى التصريح في امضاء هذا الزواج حتى لو قال الناس : ان محمداً تزوج امرأة متبناه ، لان الله يريد أن يقضي على هذه العادة الجاهلية ٠ يقول القرآن الحكيم :

« واذ تقول للذي أنعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا »(٣)

وهكذا أراد الله أن يتم هذا الزواج ليكون تشريعاً عاما يرفع الحرج عن هذا الزواج : « لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ٠٠٠ » (٤)

على ان هذا الزواج الذي أمر الله به لم يخل من مكافأة عظيمة لزينب التي رضيت بأمر الله وخضعت له في أمر الزواج من رجل كان عبداً فاعتق ٠ وفيه تكريم لها من جانب آخر ، لانها بعد طلاقها من زيد قد تتعرض لاهمال يصيبها واضرار تلحق بها ، اذ لا يرغب أحد في الاقدام على خطبتها والزواج منها لانها كانت قد تزوجت من زيد الذي كان عبداً من قبل !

---

(٣) سورة الاحزاب / ٣٧ ٠

(٤) سورة الاحزاب / ٣٧ ٠

ولقد دسّ اليهود روايات كثيرة مكذوبة حول زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من زينب ، ومما يؤسف له حقاً أن ينطلي هذا الدس على قسم من المفسرين ! وجاء المبشرون والمستشرقون فأكثروا من التخبط والطعن برسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وزعموا فيما زعموا أن رسول الله أحب زينب وكتم هذا الحب ، لكن هذا الحب ظهر بعد ذلك ، فتزوجها رسول الله بعد أن طلقها زيد !!

ومما يبعث على الاسف الشديد أن ينزلق كثير من المبشرين والمستشرقين الى مهاو سحيقة حين يتحدثون عن زواج رسول الله من السيدة زينب ، فان الراهب فيدنزيو Fidenzio قام بكتابة قصة زواج النبي من زينب كما يكتب القاص قصة غرامية سواء بسواء (٥) !!

وليس هذا فحسب ، بل زعموا ان صدر الاية السابقة عتاب للرسول الكريم على عاطفته المكبوتة ، وان رسول الله أخفى في نفسه حبه لزينب ، لذلك عتب الله على عدم التصريح بهذا الميل !!

وهذا رأي سقيم لا يقوله من له شيء من الدراية بأسلوب القرآن الكريم • ونحن نقول لهؤلاء :

ان أمر زينب لم يخف على الرسول الكريم ، فقد

---

(٥) انظر ما يقال عن الاسلام للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٤٥٩ / موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية / المجلد الخامس / دار الكتاب العربي / بيروت •

كانت ابنة عمته ، فلم يخف عليه جمالها ، وهو الــذي قام بخطبتها الى زيد بن حارثة • ولو شاء الرسول ـعليه السلام ـ أن يخطبها ويتزوجها لفعل ذلك ، وكانــــت السبل أمامه ميسرة ، بل لو أراد الزواج منها ابتــداء لفعل وهي بكر لم تتزوج بعد !

أم حبيبة بنت أبي سـفيان

اسمها رملة . كانت قد أعلنت اسلامها على الرغم من أبيها الذي لم يدخل في الاسـلام الا في وقت متأخـر تزوجت من عبيدالله بن جحش الذي هاجر معهـا الى الحبشة . وهناك في ديار الغربة تنصر زوجها وأرادها أن تتبعه ، لكنها أبت ، ففارقها ومات ، فصارت حياتها مليئة بالخوف والفزع ، ذلك أن أباها أبا سفيان كـان آنذاك عدواً للاسلام والمسلمين،وكذلك كانت أمها هند!

كانت السيدة (رملة) تنظر الى المستقبل الـذي ينتظرها وهي قلقة مضطربة خائفة وجلة ، لكن الـذي كان يخفف من الامها ومصابها كونها مسلمة آمنت بالله ورسوله ، وتحملت ما تحملت من أجل دعوة الاسـلام ، فلا يتخلى الله عنها ، لإنها خرجت في سبيله،متوكلة عليه.

لقد هاجرت من مكة الى الحبشة فراراً بدينهـا ، وامتحنت في الحبشة ذلك الامتحان الصعب حين تنصـر زوجها ، فأراد رسول الله أن يكافئهـا على اسلامهـا ، ويكافئها على ثباتها على الاسلام ، فلم يجد خيراً مـن أن يتزوجها .. ولعله بذلك أراد استمالة قلب أبيها سيد قريش . وقد قدمت الى المدينة عام الهدنة سنة سبع من الهجرة يوم فتح خيبر مع خالد بن سعيد .

جويرية بنت الحارث بـن أبي ضرار الخزاعية

عقد الحارث بن أبي ضرار ـ والد جويرية ـ العزم على محاربة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجمع الجموع وخرج للقتال ٠ وسمع رسول الله ـ عليه السلام ـ بما عزم عليه الحارث ، فخرج بالمسلمين ٠فلما التقى الجمعان نصر الله رسوله وهزم اعداءه فقتل من اعداء الله من قتل وأسر من امر ، وقد اطلق على هذه الغزوة اسم (غزوة المريسيع) أو (غزوة بني المصطلق) وكان ممن اسر في هذه الغزوة ابنة الحارث (جويرية) التي كانت تحت رجل كافر يدعى (مسافع بن صفوان المصطلقي) قتل كافراً يوم المريسيع ٠ لكن هذا الانتصار الذي حققه المسلمون لم ينه الامر ، ذلك أن الحقد على الاسلام والمسلمين ظل متأصلا في نفوس هؤلاء الناس !

ولما كانت (جويرية) قد وقعت في سهم ثابت بن قيس ، وكان ثابت قد كاتبها على سبع أواق من الذهب ، فقد دعاها ذلك الى أن تأتي الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تطلب منه أن يعينها في كتابتها ، فلما مثلت بين يديه خاطبته قائلة :

يارسول الله ، أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من الامر ما لا يخفى عليك !

فقال لها النبي : هل لك في خير من ذلك ؟

قالت : وما هو يارسول الله ؟
قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك •
قالت : نعم •
قال : قد فعلت !

ونحن نرى في هذه الحادثة ان الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فعل اكثر مما طلبت منه حيث اعتقها وتزوجها •

وحين شاع خبر زواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جويرية اعتقوا ما في أيديهم من الاسرى تكريما لهذا الزواج ، وقالوا : هؤلاء أصهار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف تبقى سباياهم في ملكنا ؟

وكانت هذه الحادثة من أهم اسباب اسلام بني المصطلق الذين دانوا بالاسلام ، وصاروا مدافعين عن حياضه ، بعد أن كانوا أعداء ألداء له !

وهكذا أنقذ هذا الزواج قوم جويرية مما أصابهم من الاسر •

لقد القى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم درس وأبلغه على ذلك المجتمع الذي كان يحتقر السبية الاسيرة ولا يتزوج بها ، حين تزوج رسول الله من امرأة اسيرة ، بعد أن فك اسرها •• فعل ذلك ليقتدي به المسلمون من بعده !

على أن هذا الزواج يعتبر درساً عمليا للمسلمين ، ليكرموا عزيز قوم ذل ، وفقراء عضهم الدهر بنابه

وأخنى عليهم الزمن !

وهكذا فان زواجه ـ صلوات الله وسـلامه عليه ـ من جويرية كان برغبة في اسلام قومها ٠٠ وهذا ما حصل فقد دخلت قبيلتها في دين الله أفواجاً بعد هذا الزواج ، و َخَـبت جذوة ُ العداء لدولة الاسلام ٠ وقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

« ما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها مـن جويرية ، أعتق في سـببها مائـة أهـل بيـت مـن بني المصطلق » (١)

---

(١) رواه ابو داود ٠

صفية بنت حيي بن أخطب

كان والدها سيد بني النضير وقد قتل مع بنـــــي قريظة • وتزوجت (صفية) من رجلين يهوديين أولهما سلام بن مشكم وثانيهما كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق •

لقد وقعت غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة فوقـــع في الاسر والسبي من وقع ،وكان مبن السبايا صفية بنت حيي بن أخطب • وقد طلب (دحية الكلبي) من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جارية من السبايا ، فقـــال له : اذهب وخذ جارية ، فأخذ صفية • لكن قسماً مـــن الصحابة جاء الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال له : يارسول الله ، لا تصلح الا لك ، فانها بنت سيد بني قريظة وبني النضير ، فقال النبي لدحية : خذ جارية من السبايا غيرها • وهكذا أصبحت صفية جارية رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لكنه أراد اكرامها أكثر كي يستميل قلوب قومها الى الاسلام ، فخيرها بين أن يعتقها ويردها الى قومها أو أن يعتقها ويتزوجها • فأختارت البقاء مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ زوجة له ، باختيارها الكامل •

وقد تحقق ما أراده الرسول من زواجه بصفية بعد عتقها ، اذ دخل عدد ليس بالقليل من قومها في الاســـلام بعـــد ذلـــك •

ميمونة بنت الحارث الهلالية

تزوجت (ميمونة) مرتين قبل أن تتزوج برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما مات زوجها الثاني وهبت نفسها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقبل رسول الله الزواج منها لانه أراد أن لا يكون في نفسها شيء عليه بعد أن وهبت نفسها له ، ولان الرسول الكريم رأى ان مصلحة عظيمة للدعوة الاسلامية في هذا الزواج ذلك ان هذه السيدة الجليلة ترتبط بصلات وثيقة مع أشراف العرب : فقد تزوج العباس بن عبدالمطلب ـ عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختها أم الفضل لبابة الكبرى ، وتزوج الوليد بن المغيرة اختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وكانت اختها الاخرى (عصماء) زوجة أبي بن خلف الجمحي ، واختها الاخرى (عزة) كانت زوجة لزياد بن عبدالله الهلالي ·

أما أخواتها لامها فهن : أسماء بنت عميس التي تزوجت من جعفر بن أبي طالب ، وسلمى بنت عميس زوجة حمزة بن عبدالمطلب ، وسلامة بنت عميس زوجة عبدالله بن كعب بن منبه الخثعمي ، وكان كل واحد من هؤلاء له مكانته المرموقة في المجتمع ·

ولقد عرض العباس بن عبدالمطلب على النبي الزواج

منها حين توفي زوجها الثاني ، لانه أراد أن يتشرف هو بزواج النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ . وهناك روايات تذكر أن جعفر بن أبي طالب هو الذي خطب للرسول ميمونة . فلم يقدم العباس أو جعفر على تزويج الرسول ـ عليه السلام ـ من ميمونة الا رجاء تشريفهما بهذا الزواج ، وما كان رسول الله ليرفض طلب صحبه الكرام !

ونظر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أمر هذا الطلب فوجده وجيهاً للاسباب التي ذكرتها ، ولان هذا الزواج قد يكون سببا في نشر دعوة الاسلام اكثر ، ذلك أن أخواتها قد تزوجت كل واحدة منهن بسيد من سادات العرب .

لقد وهبت السيدة (ميمونة) نفسها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيها نزل قول الله تعالى :

« ياأيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين .. » (١)

لقد تزوجها رسول الله في مكة ابان عمرة القضاء في أواخر السنة السابعة من الهجرة ، وهي اخر زوجة

(١) سورة الاحزاب / ٥٠ .

تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ايواء لهـــا ، ورغبة في اسلام قومها • وأسلم بعد ذلك عدد كثير مـــن قومها منهم ابن اختها : خالد بن الوليد •

لقد أبلت السيدة (ميمونة) بلاء حسناً في الاسلام ، فأشتركت في غزوة تبوك تداوي الجرحى ، واصيبت بسهم وهي تحمل الماء للمجاهدين المصابين •• وتزوجهـــا الرسول الكريم بعد أن تقدمت بها السن !

خاتمــة

اتضح مما تقدم أن زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يكن حباً في الشهوة أو تلبية لداعي الهوى ، بل كان لحكمة مهمة يقف أمامها كل منصف بأعجاب ـ أي اعجاب ـ وهو ينظر في سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد تزوج قسماً من نسائه حبا في مصاهرة قبائل ليقربها الى الدخول بالاسلام ، وكان يأمر أصحابه بذلك • فحين أرسل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عبدالرحمن بن عوف الى (دومة الجندل) قال له : ان اطاعوك فتزوج ابنة ملكهم • وهذه سياسة حكيمة من سيدنا رسول الله ، ذلك ان الذين صاهرهم لا يفكر أحدهم بعد المصاهرة بنقض العهد •••

وتزوج ـ عليه السلام ـ من أجل اعطاء المسلمين دروساً في المن على الاسرى واطلاق سراحهم •••

وتزوج من أجل اكرام قسم من النساء اللاتي سقط أزواجهن شهداء وهم يدافعون عن حصون العقيدة وقلاع الايمان •••

وتزوج من أجل ايواء قسم من النساء اللاتي بلغ بهن الكبر عتياً وأدركتهن الشيخوخة •••

وتزوج امرأة مسنة وهبت نفسها للرسول لا أرب لها بالزواج ، فيشرفها الرسول بالزواج كما أرادت •••

وتزوج اكراماً لاقوام كما فعل في زواجه من عائشة وحفصة ...

وتزوج ليخفف من غلواء القوم في معاداته ومحاربتهم لدعوة الاسلام .

ولم يتزوج ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ زواجه الثاني الا بعد أن توفيت السيدة خديجة بثلاث سنوات ، وقد جاوز في هذه المرحلة من العمر خمسين سنة ... وفي هذه الفترة لا يتزوج الرجال حباً في الشهوات واللذات. .. وكانت زوجاته ـ عليه السلام ـ كلهن ثيبات مسنات الا السيدة عائشة ، فكانت هي البكر الوحيدة .

وهكذا نجد الرحمة والاحسان والفضل والمروءة والسياسة الحكيمة والنجدة والمكافأة متجلية في أسمى معانيها في زواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي دل على بعد نظره ، وحكمة سياسته ، وسمو خلقه وقصده، ومكافأته للمؤمنات اللاتي جاهدن في سبيل الله ، وعطفاً ورحمة للعزيزات اللاتي وقعن بالاسر .

فلم يكن زواجه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بدافع الهوى والشهوة ، اذ لو كان كذلك لتزوج الرسول أجمل بنات العرب ، ومَن من البيوتات العالية ترد رسول الله اذا أراد مصاهرتها والزواج منها ؟!

ان أسمى ما تتمناه البيوتات العالية أن يخطب اليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون لها الشرف الكبير بهذا الزواج من الرسول الذي عرف بمكارم الاخلاق .

قال (ول ديورانت) :

« لقد كان بعض زيجاته من أعمال البر والرحمة بالارامل الفقيرات اللاتي توفي عنهن أتباعه أو اصدقاؤه • وكان بعضها زيجات سياسية : كزواجه بحفصة بنت عمر الذي أراد به أن يوثق صلته بأبيها ، وكزواجه من ابنة أبي سفيان ليكسب بذلك صداقة عدوه القديم » (١)

على ان الاية التي حددت للمسلم ان يتزوج أربعاً من النساء فقط نزلت في المدينة في اخر العام الثامن من الهجرة ، بعد أن تزوج رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – من كل نسائه • وحين نزل قوله تعالى : « •••• فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع •• » طلق من كان تحته اكثر من أربع نسوة ما زاد على الاربع، وأبقوا في عصمتهم أربعاً فقط •• لكن زواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان لاسباب انسانية وسياسية وتشريعية ، فماذا يفعل – صلوات الله وسلامه عليه – ؟

أيطلق عدداً منهن ويقتصر على أربع فقط ؟ اذن لذهبت المصلحة التي من أجلها شرع له الزواج •

وفوق ذلك ، فان اية امرأة تطلق من زوجها تستطيع أن تتزوج من رجل اخر ، أما أزواج النبي فيحرم على اية واحدة منهن أن تتزوج اذا طلقها رسول الله ، لان كل واحدة منهن أم للمؤمنين • وقد نزلت الاية التي تمنع الرسول من الزيادة على زوجاته وتمنعه من طلاقهن

---

(١) النبي محمد ص ٣٦٣ – ٣٦٤ •

ـ أيضا ـ في فترة انتشرت فيها دعوة الاسلام انتشــاراً واسعاً ٠٠ بعد هذه الفترة التي قويت فيها شوكة المسلمين نزل قوله تعالى :

« لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تَبَدَّل بهنّ مــن أزواج ولو أعجبك حسنهن ٠٠ » (٢) فقد نهى الله الرسول في هذه الاية عن طلاق نسائه والتزوج من غيرهن ، لان علة الزواج قد انتفت والله اعلم ٠

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ٠

ابراهيم النعمة
امام وخطيب جامع المخيول / الموصل

---

(٢) ســورة الاحزاب / ٥٢ ٠

مراجـــع البحـث

١ـ الاسلام عقيدة وشريعة للاستاذ محمــود شــلتوت ٠ الطبعة الثانية ٠ دار القلم ٠ القاهرة ٠

٢ـ الاسلام في قفص الاتهام للاستاذ شوقي أبو خليل ٠ الطبعة الثانية ٠ دار الفكر ٠

٣ـ الاسلام واتجاه المـرأة المسلمة المعاصـرة للدكتـور محمد البهي ٠ دار الاعتصام ٠ القاهرة ٠

٤ـ الاسلام والمرأة المعاصـرة للاستاذ البهـي الخولي ٠ الطبعة الثالثة ٠ دار القلم ٠

٥ـ أشعة خاصة بنور الاسـلام تأليف اتيـين دينيـه ٠ ترجمة راشد رستم ٠ سلسلة الثقافة الاسلامية/١٧

٦ـ حضـارة العـرب للمستشرق الفرنسـي الدكتـور غوستاف لوبون ٠ نقله الى العربيـة عـادل زعيتر ٠ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٩ ٠

٧ـ حقائق الاسلام وأباطيـل خصـومه للاستاذ عبـاس محمود العقاد / موسوعة العقاد الاسلامية ٠

٨ـ حقائق ثابتة في الاسلام تأليف ابن الخطيب٠ الطبعة الاولى ١٣٩٤ ٠

٩ـ حقوق الانسان في الاسلام للدكتور علي عبدالواحد وافي ٠ الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ ٠

١٠ـ دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ محمد فريد وجدي / الجزء الرابع / الطبعة الثالثة ١٩٧١ ٠ دار المعرفة ٠ بيروت ٠

١١ـ الزواج للاستاذ عمر رضا كحالة ٠ مؤسسة دار الرسالة ٠

١٢ـ زوجات النبي الطاهرات للاستاذ محمد محمود ٠ الناشر : دار الاعتصام ١٣٩٩هـ ٠

١٣ـ سماحة الاسلام للدكتور أحمد محمد الحوفي ٠ سلسلة : دراسات اسلامية ٤ ٠ مطبعة الرسالة ٠ القاهرة ٠

١٤ـ سيرة الرسول للاستاذ محمد عزة دروزة ٠ مطبعة عيسى البابي الحلبي / ١٣٨٤هـ ٠

١٥ـ فقه السيرة للاستاذ محمد الغزالي ٠ الطبعة الخامسة ١٩٦٥ ٠

١٦ـ الفكر الاسلامي والتطور للاستاذ فتحي عثمان ٠ الطبعة الثانية ٠ الدار الكويتية ١٣٨٨هـ ٠

١٧ـ الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهي ٠ دار الاعتصام ٠ القاهرة ٠

١٨ـ لماذا عدد النبي زوجاته للدكتور أحمد محمد الحوفي / نشره المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية / القاهرة / ١٣٩٤هـ ٠

١٩ـ ماذا عن المرأة للدكتور نور الدين عتر • الطبعة الثالثة طبع سنة ١٣٩٩ • دار الفكر • دمشق •

٢٠ـ محمد رسول الله تأليف اتيين دينيه وسلمان ابراهيم الجزائري • ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ومحمد عبدالحليم • الطبعة الثالثة ١٩٥٩

٢١ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الكامل تأليف محمد أحمد جاد المولى • الطبعة السادسة ١٣٨٨ • القاهرة •

٢٢ـ المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعي • الطبعة الاولى ١٣٨٢ • دمشق •

٢٣ـ مقارنة الاديان ـ الاسلام ـ للدكتور أحمد شلبي الطبعة الرابعة ١٩٧٣ •

٢٤ـ منهج السنة في الزواج للدكتور محمد الاحمدي أبو النور • الطبعة الاولى ١٣٩٢ • القاهرة •

٢٥ـ النبي محمد انسان الانسانية للاستاذ عبد الكريم الخطيب • الطبعة الثانية ١٣٩٥ • دار المعرفة / بيروت •

صدر للمؤلف

١ـ الجهاد في التصور الاسلامي ٠
٢ـ الاسلام في آفريقيا الوسطى ٠
٣ـ الاسلام وقصة العامية ٠
٤ـ العالم الاسلامي وتحديد النسل ٠
٥ـ نظرات في الصوم ٠
٦ـ الطلاق بين الفقه والقانون ٠
٧ـ آخلاقنا أو الدمار ٠
٨ـ الاسلام والرق ٠
٩ـ الحج ليس وثنية ٠
١٠ـ الاسلام وقضايا المرأة ٠
١١ـ الاسلام ووقاية المجتمع من الجريمة ٠
١٢ـ تحقيق كتاب اصول الفقه الاسلامي للشيخ العلامة رشيد الخطيب الموصلي ٠
١٣ـ تحقيق كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة للشيخ عدي بن مسافر الاموي بالاشتراك مع الاستاذ محمد علي الياس العدواني ٠

كتب تالية :

١٤ـ روائع اسلامية ٠
١٥ـ نفحات من شريعة الاسلام وصلاحها للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان
١٦ـ ايماننا الحق بين النظر والدليل ٠
١٧ـ العمل والعمال في الفكر الاسلامي ٠
١٨ـ المسلمون امام تحديات الغزو الفكري ٠

زواج رسول الله

رقم الايداع ٣١١ لسنة ١٩٨٢

انتهى الطبع في ٢٦/٩/١٩٨٢